جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكّرة:

الرؤية النقدية في كتاب "مسائل الانتقاد"

لابن شرف القيرواني

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين
-حساني ساجية
-حمدوش نجاة

إشراف
-شيبان سعيد

السنة الجامعية: 2019/2018

شكر وعرفان

نتقدم بكل شكر واحترام إلى
الأستاذ المشرف " شيبان سعيد " على
توجيهاته التي مكنتنا من إنجاز هذا
البحث

كما نوجه الشكر إلى السادة الكرام
أعضاء اللجنة وكافة أساتذة

قسم اللغة والأدب العربي

شكر وإهداء

إهداء

أهدي هذا العمل وأسمى عبارات الحب والاحترام

إلى أعز الناس الوالدين الكريمين أطال الله في عمريهما

إلى جدّي وأخواتي سميرة، نادية، فهيمة، نجيب، بلال ومحرز

إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الكرام

إلى كل زملائي ورفاق دربي الدراسي

ساجية

إهداء

اهدي هذا العمل إلى

من علّمني حب العلم ونصحني وأرشدني بكل حلم

إلى من نبض قلبه لي بالدعاء ولسانه بالثناء رمز للدفء المتجدد والحنان المتدفق

إلى ابي الحبيب

إلى من يخجل العطاء من عطائها ويعجز الثناء من ثنائها ويذهب العناء بلقائها

أمي الحبيبة

إلى سندي بعد الله تعالى في الدنيا رمز القوة والكفاح، ومن شاركني طفولتي

اخوتي: ضاوية، يحي، ليلى، يسمينة، زايدي، عبد الزين، صبرينة، وإلى أخي

الحبيب بوعلام.

وألى أجمل من في الحياة غراس اليوم وحصاد الغد وكل المستقبل براعمنا: نايلة،

غيلاس، سيف الدين، علوش.

إلى صديقتي وزميلتي ساجية.

والشكر موصول للأستاذ شيبان سعيد الذي قدم لنا النصح والإرشاد، وأسأل الله

العظيم أن يجزيه عنّا خير جزاء.

نجاة.

مقدمة

حظي النقد المغاربي باهتمام بالغ لدى الدارسين لكونه لا يقل عن النقد المشرقي رؤية وجمالية. وقد تولدت لدينا رغبة في دراسة أحد أعلام الحركة النقدية المغاربية في القديم وهو ابن شرف القيرواني مركزين على مؤلفه"مسائل الانتقاد". وكان علينا منذ البداية الإجابة عن سؤالين طالما طرح نفسيهما بإلحاح:

- ماهي المرجعيات الأدبية والفكرية التي استقى منها ابن شرف أراءه النقدية؟
- ماهي أهم القضايا التي شغلت الساحة النقدية المغاربية في القديم؟

وقصد طرح هذه الأسئلة الإشكالية، ارتأينا تقسيم هذا البحث إلى فصلين،خصصنا الفصل الأول للملابسات التاريخية والظروف التي ارتبطت بظهور كتاب "مسائل الانتقاد"،أماّ الفصل الثاني خصصناه لتقصي موقف ابن شرف القيرواني من بعض القضايا النقدية التي شغلت الساحة النقدية العربية في عصره.

وقد آثرنا اتباع المنهج الوصفي التحليلي، إذ كنا ننطلق من أراء ابن شرف لرصد الظواهر المدروسة للتحليل والمقارنة.

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء انجازنا لهذا البحث نجملها في عامل ضيق الوقت وكذلك النقص الفادح للمراجع التي خصت النقد المغاربي القديم بالدراسة.

وفي الختام لا نرعى أنّنا أجبنا عن كل الأسئلة العالقة بإشكالات هذا البحث ولكن نأمل أننا فتحنا الباب لباحثين آخرين ليتداركوا ما فيه من نقائص وهنات، وصدق من قال:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

الفصل الأول

ابن شرف القيرواني وكتابه" مسائل الانتقاد"

المبحث الأول: نشأته وبيئته

المبحث الثاني: عرض كتاب "مسائل الانتقاد"

المبحث الثالث: مجالات اشتغال النقد في كتاب "مسائل الانتقاد"

المبحث الأول: نشأته وبيئته

أ-اسمه ومولده:

ذكرت العديد من المصادر والمراجع العربية القديمة الكثير من النقاد والشعراء، من بينهم ابن شرف القيرواني المكنى باسم أبي عبد الله بن سعيد محمد شرف الجذامي القيرواني، إذ يعود نسبه إلى أبيه، إلا أنّ هناك من نفى ذلك ونسبه إلى غير نسبه، ونذكر من بينهم النبوي عبد الواحد شعلان الذي يقول: «**أن شرف يحمل كنية أمه وقد استخلص رأيه هذا من خلال قول ابن رشيق القيرواني في إحدى المعارضات التي قامت بينهما على النسب والكنية إذ يقول:**

أمّا أبي فرشيق لست أذكره قل لي أبوك وصوره من الخشب»[1].

ولد محمد أبي سعيد ابن شرف في القيروان عام 388 هـ، وترعرع فيها، فحياته كانت حافلة بالعلم والمعرفة، حيث سعى إليها مبكرًا، فكان بارعا في الأدب، وهو في مرحلة الشباب، فالظروف والأجواء العلمية التي سادت الشارع القيرواني ساعدته على اكتساب تلك المعارف، خصوصا في عهد المعز بن باديس، فهذا الأخير لم يقتصر في تشجيع طلاب العلم والمعرفة.

نال ابن شرف الحظ الوافر من العلوم والمعرفة، وبزع في شتى الميادين، إذ درس علوم اللّغة والأدب والشعر وعلم الحديث والفلك، وقد أثر هذا التنوع الثقافي في أسلوبه وجعله بارعا في الشعر

[1]-ابن شرف عبد الله محمد، مسائل الانتقاد، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، د ط، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصدر،1983م، ص 35 – 36.

ومتمكنا من اللّغة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «**ما كان بإفريقيا من مشاهير الشعراء إلاّ ابن رشيق وابن شرف**»[1].

يعد ابن شرق القيرواني من البارزين في بلاط المعز بن باديس ويؤكد على ذلك ياقوت الحموي قائلا: «**وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة من المتقدمين عند المعز على سائر من حضرته من الأفاضل والأدباء. وكان يقرب هذا تارة ويدني ذلك تارة فتنافسا وتنافرا ثم تصاحبا ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقصات**»[2].

كانت حياة الرجل حافلة كأدبه، فهو شاعر وكاتب بلاط، ينافس صاحبه ابن رشيق على امتلاك مكانة مرموقة لدى الحاكم، واكتساب ثقته، بذكر محاسنه في العديد من المناسبات في مقاطع شعرية.

اضطر ابن شرف القيرواني أن يهجر وطنه بسبب الأوضاع والظروف التي حلت بالقيروان ليترامى في ربوع صقيلية، ثم يغادر إلى الأندلس، لينتقل عند ملوك الطوائف بعد أن كان مقربًا من الأمير الصنهاجي المعز بن باديس فأصبح من أهم الشعراء، إذ يقول ابن بسام: «**وكان أبو عبد**

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة أبن خلدون، تحقيق: عبد اللّه محمد الدرويش، ط 1، دار يدرب، 2004، ص 518.

[2] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 1، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، دار بن حازم بيروت، لبنان 1999، ص 28.

شرف القيرواني من فرسان هذا الشأن واحد من نظم قلائد الأدب وجمع أشتات الصواب وتلاعب بالمنظوم والموزون، تلاعب الرياح بأطراف الغصون»[1].

تتلمذ ابن شرف على يد العديد من علماء عصره وأدباءها، ومن بينهم أبو الحسن القابسي الذي أخذ عنه علم الحديث ومتونه وأسانيده، إضافة إلى القزاز الذي كان ملمًا بعلوم كثيرة وله كتاب في علوم اللّغة وهو "الجامع في اللغة"، فعلمه هذا الأخير أصول الفقه واللّغة.

ألف ابن شرف القيرواني العديد من المؤلفات التي ذكرتها المصادر القديمة إلاّ أن ما وصل إلينا غير ذلك، إذ ضاعت واندثرت ولم يبق إلاّ القليل منها وهذا يعود إلى نقص التدوين وعدم المحافظة على مخطوطاته الأدبية، والذي بقي من تلك المؤلفات تتمثل في أربعة مصنعات وديوان شعري متناثر الأبيات بين المصادر القديمة، والمتمثلة في "أبكار الأفكار"، وهو كتاب يحتوي على إبداعات من شعر ونثر المتشتتة في كتب الأدب "كالذخيرة" وكتاب "بدائع البداية" ومن مؤلفات ابن شرف نظيف إلى ما سبق كتابي: "أعلام الكلام" و"رسائل الانتقاد" وهذا الأخير الذي صاغه على شكل مقامة نقدية، وستتطرق على تفاصيله لاحقا، ولا ننسى" لمح الملح"، والديوان شعري الذي يحتوي على ما يقارب الستمائة بيت، حيث نستشف من خلال هذه المؤلفات القليلة ملامح شخصية ابن شرف، أنّه كان مسالما وقنوعا متواضعا، ونظم على وطنه قصيدة يبين فيها مدى تأسفه على فراقها، إذ يقول:« **في رثاء القيروان وهو أحسن ما نظّم من الشعرّ:**

---

[1] –الشنتريني ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص 122.

يا قيروان وددت أنّي طائـــــر فأراك رؤية باحث متأمـــــــــل

أها وايّه أهة تشفي جـــــوى قلب بنيران الصبابي مصطلـــى

أبدت مفاتيح الخطوب عجائبا كانت كوامن من تحت غير مقفل»[1].

كما أنّه كان يتحرى الصدق والأمانة، فيما نقل في كتبه الأدبية والنقدية، وقدم العديد من التوجيهات الفنّية، وأشار إلى مجمل القضايا التي تخدم الشعر والنقد خصوصا في كتابه "مسائل الانتقاد"، وهذا ما يبينه قول بشير خلدون: «**إنه من المؤكد أنّ ابن شرف لم يقل هذه الأحكام والتراجم ارتجالا ولا اعتباطا دون روية، بل نرى عكس ذلك فقد أجهد نفسه وقدم لنا بعد ذلك عصارة ثقافته وتفكيره وخلاصة مكثفة أعطى فيها حقيقة كل شاعر من هؤلاء الشعراء الذين تحدث عنهم**»[2]. ممّا يدل أنّه كان ملّما بثقافة عصره، وأنّه كان على دراية بما يجري من محاورات أدبية ومعارك نقدية، وكان الشعر والشعراء ميدانا لها، ولذلك يعد ابن شرف القيرواني من الشخصيات النقدية والأدبية التي يحسب لها حساب في تلك الحقبة الأدبية.

[1] – إبراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي بين القرن الرابع والثامن الهجري، وهران، 2009/2008، ص 72.

[2] – بشير خلدون، الحركة الأدبية على أيام ابن رشيق المسّيلي، ط1، الشركة الوطنية للنشر التوزيع مركب الطباعة رغاية، الجزائر، 1981، ص158.

ب-مدينة القيروان:

قبل أن نعرج في تعريف مدينة القيروان، لابّد لنّا الإشارة إلى من كان السبب في تأسيس هذه المدينة العتيقة، وهو الفاتح العظيم عقبة بن نافع العنصري: «**هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن قصر**»[1].

يعد عقبة بن نافع من أبرز القادة في الفتوحات الإسلامية فترة عمر بن الخطاب، فقد نشأ في جو ذات طابع عسكري وديني، سعى إلى نشر الإسلام وتحقيق العدل والمساواة في بلاد المغرب، فهذه الصفات أكسبته الشجاعة، والإقدام والاحترام، إضافة إلى كل هذه الأمور التي قام بها عقبة بن نافع، قام هذا الأخير بإنشاء مسجد بالقيروان الذي يعد من أهم المعالم عبر التاريخ وقد سمي باسمه" جامع عقبة بن نافع"، ويقول إبراهيم عبد النور في هذا الصدد: «**أسسه عقبة بن نافع سنة 51 هـ/671م، فقد جعله مدرسة ومسجدًا، واستمر هذا المركز الثقافي يؤدى رسالته منذ إنشائه، ولقد بدا المسجد صغير المساحة بسيط البناء، ولكن لم يمضى على بنائه عشرون عاما حتى هدمه حسان بن نعمان الغساني وأقام مكانه مسجدًا جديدًا أكبر من الأول**»[2].

---

[1] – ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ط 3، دار الثقافة بيروت، 1983، ص 43.

[2] – إبراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي من القرن الرابع الثامن من الهجري، وهران، 2008/ 2009، ص 16.

تعد القيروان من أهم المدن المغربية العربية القديمة امتلاكا للثروات والأموال خاصة المتعلقة بالتجارة، فهي في هذا المجال نالت الحظ الوافر، فاتسعت تجارتها إلى أبعد الحدود، وفي هذا الصدد يقول الإدرسي: «**أعظم مدن الغرب قطرا وأكثرها بشرًا وأيسرها أموالا، وأوسعها أحوالا وأتقنها بناء، وأنفسها هما وأربحها تجارة وأكثرها جباية، وأنفقها سلعة وأنماها ربحًا**»[1].

فالقيروان هي وجهة العلماء والأدباء حيث ظهر العديد منهم، ومن بين هؤلاء نجد: عبد الرحمان بن زياد الإفريقي أبو خالد، وفي ذلك يقول عبد اللّه بن الوليد: «**وحدثوا أنّه لما غلبت البربر على القيروان، وفد إلى الخليقة رجال، قال عبد الرحّمن، فكنت أنا فيهم، قال: فلمّا صرت إليه قال لي: «كيف رأيت ما وراء بابنا» فعلت له: رأيت ظلما فاشيا وأمرا قبيحا، قال عبد الرّحمن. فقال أبو جعفر: «العلة فيما بعد من بابي». فعلت بل كلّما قربت من بابك استفعل الأمر وغلب. فالصدع بالحق وإزالة الظلم ونوعان أمام أقوى رئيس في العالم يعّد سمة بارزة عند العلماء، إنّه العدل والحق**»[2]، ونجد أيضا الإمام سحنون بن سعيد التنوفي وغيرهم، فمدينة القيروان تعد من بين أهم المدن الإسلامية فمن خلالها تم نشر تعاليم الدين الإسلامي، ونشر اللّغة العربية كان للقيروان الدور الأساسي في الفتوحات الإسلامية، فمن خلالها انطلقت حملات الفتح نحو الكثير من المدن الإسلامية في الغرب العربي.

---

[1] – الشريف الإدرسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1983، ص 146.

[2]– الملتقى الدولي: الوسيطة في المغرب وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، مصطفى حميدات، مصطفى حنانشة، جامعة الوادي، ديسمبر، 2017، ص 442.

مدينة القيروان لها إرثا عريقا، وهذا ما يؤكده تاريخها الزاهر وأثارها ومعالمها الباقية الراسخة التي تمثل المراحل الهامة من تاريخها، وهذه الأخيرة تمتاز بموقع استراتيجي هام، إذ منح لها المكانة الشامخة، والإطلالة الرائعة المتميزة عن باقي المدن المغربية العربية، ، كما أنّ لها ثروات جعلتها من بين المدن الغنية بالموارد الطبيعية، وهذا ما يبّنه حسن ذكرى حسن في قوله: «**مدينة القيروان بساط من الأرض مديد من الجوف منها البحر سفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي بينهما وبينه مسيرة يوم، وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبين سواء الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم وشرقها سبخة ملح عظيم طيّب نظيف، وسائل جوانبها أرضون طيبّة كريمة واحسنها الجانب العربي وهو المعروف بفحص الدرارة يهاب فيه في السنة الخصبة للحبة مائة. وهواء هذا طيّب صحيح**»[1]، إنّ التطور الذي عرفته مدينة القيروان خلال فترة وجيرة. لا تتعدى أربعة قرون، قد أكسبته مكانة مرموقة وازدهارا كبيرًا، فشمل العديد من الجوانب سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، هذا ما جعلها من بين أهم المراكز الحربية الخاصة بالجيش الإسلامي، واشتهرت بأسواقها الواسعة بفضل رقعتها الجغرافية الاستراتيجية، وطرقها الكبيرة المكتظة بالسكان، وشوارعها التي تخطف الانظار لوجود معالم أثرية قديمة، فهذه المدينة من بين أهم المدن التي تم فيها انتشار تعاليم الدين الإسلامي، ومدينة القيروان ذات أسماء عدّة فنجدها

[1] – محمد ابن شرف، الديوان، تحقيق: حسن ذكرى حسن، مكتب الكليات الأزهرية، مصر، 1983، ص 8.

باسم "درة التراث السياحي" و "رمز الحضارة الإسلامية" و "ملهمة الفنانين"، فهي تصنف ضمن المدن العتيقة.

ج-الحياة الثقافية في مدينة القيروان

مرت القيروان في جانبها الثقافي بعدة مراحل، ومن أهمها الفترة التي عاشها أواخر القرن الثاني للهجرة إلى منتصف القرن الخامس حيث شهدت ازدهارا كبيرًا في شتى المجالات الثقافية كالأدب واللغة ومختلف العلوم، والفترة الأكثر تميزًا هي حكم المعز بن باديس، وقد أشار العديد من النقاد والدارسين على مدى تميزها في العديد من الكتب خصوصًا في مجال الأدب والشعر، إذ يقول بشير خلدون: «**لذلك فإنّ كثرة من الأدباء والشعراء هم شخصيات متعددة الجوانب فمنهم الشاعر الفقيه والشاعر اللغوي والشاعر الأديب والشاعر الناقد، حتى الشاعر الطبيب أو الفيلسوف وليس هذا غريبا على عصر كان من أمرائه المعز بن باديس و تميم ابه و تربعت فيه القيروان كأحسن الحواضر الثقافية في هذه الربوع، فقد ازدهرت بسبب ذلك الثقافة وتميزت الحركة الأدبية بفنونها المتعدد الأفنان والفروع**»[1].

تعد مدينة القيروان مركزًا للعلم والمعرفة ووجهة علماء المشرق والمغرب، ونظرا للاحتكاك الثقافي بين الشعوب المجاورة وتبادل المعارف في مختلف المجالات، ارتفع المستوى الثقافي

[1]- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 31.

واكتسب للقيروان مكانة سامية، إذ يعد أي خلق إبداعي في مختلف الأجناس الأدبية وتطور العلوم في شيء الميادين صورة حية تظهر لنا مدى ارتقاءها، وفي هذا الصدد يقول حسن حسني عبد الوهاب: «**في هذا العصر حظي الأدب من نثر ونظم في حلة التفنن والرّقة وظهر فيه الاختراع الجيد وتوليد المعاني الرقيقة نظير ما حصل للأدب بالعراق في مبدأ الدولة العباسية حينما امتزج الشعر العربي بالآداب الفارسية، والفرس أهل رقة وخيال متسع، فاتّفقت القرائح وتولد العجيب لتأثير المدينة على الخيال الشعري**»[1].

يعود سبب الانتعاش الثقافي إلى الاعتناء والتشجيع على العلم وطلب المعرفة في شتى الفروع والإقبال الكبير من طرف مختلف الطبقات المتميزة مثل طبقة الحكام الذين فتحوا الأبواب على مصرعيها رغبة منهم في تطوير العلم، ونشر العلوم من طب ومنطق وفلسفة ورياضيات، إضافة إلى العلوم الدينية من حديث وتفسير وفقه، التي كانت بوابة لمختلف الفنون الأدبية من شعر ونثر ونقد، وبصفة القيروان أول المدن الإسلامية المشيدة في بلاد المغرب، كان نشر الدين والشريعة أهم أمر ركزوا عليه، فأصبحت القيروان وجهة العديد من العلماء والأدباء والفقهاء ويشهد ياقوت الحموي على هذه الأجواء العلمية والأدبية السائدة في القيروان أيام المعز بن باديس حيث

[1]– حسن حسنى عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ط 1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1983، ص 105.

قال: «**وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والادباء، تشد إليها الرحال من كل فج لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والادب وعنايته بهم....**»[1].

ساعد الاستقرار النسبي الذي شهدته الحياة السياسية والظروف الاجتماعية على أيام بني الزيرى الصنهاجي إلى بروز الكثير من النقاد والشعراء والفقهاء، وقد أهل ذلك مدينة القيروان على إثراء المكتبة العربية بكتب أدبية وتاريخية، خاصة في المجال العلوم والفلسفة ولا سيما في اللغة، فقد شملت على مختلف العلوم والمعارف الدينية أو الدنيوية، وهذا ليس غريبا في بلاد بحكما أمراء شجعوا على طلب العلم والمعرفة وحفزوا الشعراء والأدباء وطلاب العلم من كل مكان للرواية والتّفقه على النزول والاستقرار في بلاد المغرب، وعلى رأس هؤلاء نجد المعز بن باديس الذي كان محب ومجزل العطاء لأهل العلم، إذ حمس هذا الأخير التنافس وحب التفوق ونيل المكانة، ويقول ابن عذارى في صدد : «**ولم يكن أحد في زمانه أشدّ بأسًا في الملاحم، ولا أطول بدًا بالمكارم، ولا أعنى بلسان العرب، ولا أحنى على أهل الأدب منه ومن مشهور كرمه: أنّه أعطى المنتصر بن خزرون في دفعة مئة ألف دينار...**»[2].

وقد برزت العديد من المجالس العلمية والفكرية التي ساهمت بشكل كبير في تطوير المستوى الثقافي، وفي السياق نفسه يقول بشير خلدون: «**لقد كان لهؤلاء العلماء الفقهاء دور كبير في**

---

[1] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 7، ص 28.

[2] – أبي العباس بن عزاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عوّاد مغروف ومحمود بشار عوّاد، ط 1، ج 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص 325.

إنماء الحياة الفكرية بفضل المناقشات والمناظرات، ومجالس الدراسة وحلقات البحث والشرح والتفسير حتى أنّنا لا نكون مغالبين إذا قلنا: إنّها كانت المنطلق الحقيقي لألوان الثقافات اللغوية والأدبية والعلمية»[1]، دعم هذا الجو في ظهور العديد من النقاد واللغويين، وساهم في تطور الحركة النقدية والعلمية وتنشيطها أمثال: محمد بن عبدون الوراق الكاتب القيرواني، إضافة إلى بن أبي الرجال، أبو طاهر البرقي، والحصري وأبو عبد الله القزاز، وعدد من الشعراء ذكر أغلبهم ابن رشيق في كتابه "العمدة"، وابن شرف في مؤلفه "مسائل الانتقاد"، يقول حسن حسنى عبد الوهاب في هذا الصدد «**في عهد الصنهاجيين وضع القيروانيون فن نقد الشعر فألف إبراهيم النهشلي كتاب "الممتع" وألف ابن رشيق "العمد في محاسن الشعر"، وألف محمد بن محمد بن شرف "رسالة الانتقاد" وكل هذه الكتب في أساليب النّقد ومناحيه»**[2].

فالحياة الثقافية في القيروان شملت العديد من المجالات العلمية والفكرية إذ شهدت فترة مزدهرة تشبه إلى حد كبير الحركة الثقافية التي ظهرت في بلاد المشرق العربي خصوصا الأندلس، ونتيجة لذلك نشطت الحركة الأدبية والثقافية وتوافد إلى القيروان الأدباء والكتاب، فجعلوا منها منارة للفكر والإبداع.

---

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، (موكب الطباعة الشركة).

[2]- حسن حسنى عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ط 1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1983، ص 77.

د-الحياة الأدبية والفكرية

قطعت القيروان شوطا كبيرًا في مجال العلمي والأدبي، فقد نالت إشعاعًا في أنحاء العالم الإسلامي، وكونها أول دولة إسلامية في الغرب العربي اتخذت طريقتين في الدعوة إلى الإسلام أولها باستخدام الحملات العسكرية، وثانيها الدعوة إلى التعليم ونشر العلم والمعرفة، ولم يقتصر ذلك على العلوم الشرعية، وإنّما بدعت أيضًا في العلوم الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية، إضافة إلى الطب والهندسة والفلك والأدب، فأصبحت القيروان بمرور الوقت تجذب الدارسين وتنجب العلماء في مختلف الاختصاصات يلتقون فيها للتزود بالعلم، وينشرون فيها لإفادة الراغبين فيه.

كانت القيروان ملتقي ومأوى المهاجرين من المشرق والأندلس، إذا أثرت هذه الظاهرة الاجتماعية في نمو الحركة العلمية والمعرفية على نطاق واسع، وقد حظيت القيروان بعديد من الشعراء البلغاء، ورواة الأدب الذين حملوا إليها أيام العرب وأخبارها ووقائعها، وقد بدى التنافس شديدًا بين شعرائها وأدباءها وعلمائها، فشهدت القيروان ظهور صنوف المؤلفات التي تعالج موضوعات شتى في مختلف المعارف الفقهية والعلمية والأدبية، فكان النحو واللغة نصيبا برز فيها علماء أشهرهم محمد بن جعفر القزاز، الذي كان شيخ اللّغة في المغرب وتتلمذ عليه العديد من الأدباء والنقاد أمثال ابن رشيق حيث يقول هذا الأخير في كتابه الأنموذج: «**كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التأليف الذي فضح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين**»[1]. وترك

[1] – حسن بن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 365.

القزاز كتب عديدة منها "العشرات" و "كتاب الحروف"، إضافة إلى عبد الله بن مسلم القيرواني النحوي الذي يقول عليه بشير خلدون: «**وقد تمكن بفضل مكانته العلمية أن يكون أستاذ للغة والنحو في المدرسة النظامية ببغداد**»[1]، وأبو علي الحسن بن سعيد البصرى الذي يعد من كبار نحاة المشرق، وبذل علماء القيروان جهودًا كبيرة في تحصيل العلوم العربية من نحو وصرف كما تميزت بعلم البديع الذي شهد حركة متميزة، والبيان والبلاغة والفصاحة، وباعتبار اللّغة العربية لغة القرآن الكريم، فكان لا بد أن تحظى بالعناية والدراسة وأن تنشر في كل ربوع المغرب العربي، هذا من جانب اللغة والنحو، أما من جانب الأدب والنقد فإن ثراء المكتبات في القيروان دليل على العناية بتطوير الحياة الأدبية والنقدية، فشهدت القيروان حركة نقدية ضخمة لمثلها التي حدثت بين النقاد والشعراء في سوق عكاظ أو أكثر، وتأثر نقاد القيروان أيضا بالنقاد المشارقة أمثال: ابن قتيبة وقدامة بن جعفر والجرجاني والرماني وغيرهم، فألفوا كتبًا عديدة مثل كتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" لصاحبه ابن رشيق، وكذا كتاب الروضة الموشية في شعراء المهدية، إضافة إلى كتب نقدية عديدة ككتاب "مسائل الانتقاد" لابن الشرف، وكتاب "ما يجوز للشاعر في الضرورة" للقزاز القيرواني، و" كتاب زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري وغيرها.

استقطبت القيروان أنظار النقاد وتوسعت ظاهرة الحديث عن البلاغة والفصاحة، بالإضافة إلى قضايا أخرى ومواضيع عن الشعر والنثر مثل: قضية اللفظة والمعنى والمطبوع والمصنوع،

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 29.

والسرقات الشعرية وغيرها من القضايا التي شكلت اهتمام النقاد والأدباء آنذاك، أما عن الحركة العلمية فيقول بشير خلدون: «**وإلى جانب الحركة الدينية واللغوية وجدت الحركة العلمية التي كانت لها على أيضا مكانة لا بأس بها في المغرب، بحيث ظهرت الفلسفة، والمنطق، والطب والتنجيم والفلك، والرياضيات. وفي هذا الجو العلمي ظهر أبو القاسم بن محرز الذي برز في فن المناظرة بصفة خاصة، وإسحاق ابن سليمان، والكندي القيرواني في علوم الرياضيات وهناك غيرهم كثيرون**»[1].

فالقيروان إذن عاصمة إفريقية منذ تأسيسها سنة 750م، واستطاعت أن تدشن طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعددة الخصائص، حيث كانت مركزًا للمعرفة ينهل إليها العديد من طلاب العلم والمعرفة، وأصبحت بيتا للحكمة والمعرفة ومنارة العلوم المختلفة تحاكى مثيلتها مدينة في المشرق العربي، وهمزة وصل بين أقطار المشرق العربي ومغربه، ومنطلقا للثقافة العربية الإسلامية، وقد زاد في علوّ صيتها العدد الوافر من الصحابة والعلماء والتابعين الذين نزلوا بها فكتب عليها العديد من الدارسين والنقاد ونظموا الشعراء القصائد يصفون فيها مكانة القيروان، وفي الصدد نفسه يقول صاحب معالم الإيمان «**أما القيروان فهي البلد الأعظم، والمصر المخصوص بالشرف الأقدم، قاعدة الإسلام والمسلمون بالمغرب وقطرهم الأفخر، الذي أصبح لسان الدهر عن فضل يعرب، ويشرفه يغرب، قرار الدين والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان**

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 30.

فلبها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية، وسجد للّه فيها سرّا وعلانية، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا –صلى الله عليه وسلم–ومحط رجالهم ومعقلهم للإسلام المقصود إليها بسيرهم وأثقالهم...، مصرًا مؤسسا على التقوى إلى يوم الدين دار هجرة المغرب والتربية المقدسة التي ضمت شعر المصطفى، فأصبحت قسيمة يثرب...، رابعة الثلاث المدينة ومكة وبيت المقدس»[1]، ومن جهة أخرى نظموا الشعراء مقاطع شعرية يصفون أجواء القيروان ومكانتها المتميزة عن باقي بلاد المغرب قبل وبعد النكبة الأليمة التي حلت بها، ومن بين هؤلاء نجد ابن شرف، وابن رشيق القيرواني إذ يقول هذا الأخير:

«كانت تعدّ القيروان بهـــم إذا عدّ الميابر زهرة البلـــــدان

وزهت كل مصر وحق لـــــها تزهوا بهم وغدت على بلدان

حسنت فلمّا تكامل حسنـــــها وسما إليها كل طـــــرف ران

وتجمّعت فيها الفضائل كلّها وغدت محل أمن وإيمـــــان»[2].

وأمّا ابن شرف فقد نظم قصيدة شعرية غرضها الرثاء يصف من خلالها أجواء القيروان، وما لقيه من دمار وخراب على أيدي الغزاة، ويعبر عن إحساسه بالأسى عليها وحسرته وحزنه الشديد فيقول: «

---

[1] – أبو زيد عبد الرّحمان بن محمد الأنصاري الدباخ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: إبراهيم شتبوج، ج 1، ط 2، مكتبة الخانجي بمصر، 1968، ص 6 – 7.

[2] – عبد الرحمان باغي، ديوان ابن رشيق القيرواني، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1989، ص 206 – 207.

أه للقيروان إنّه شجـــــــــو من فؤاد بجماجم الحزن يصلى

حيث عادت بها الدّيار قبـــورًا بل أقول الدّيار منهنّ أحلـــى

ثم لا شمعة سوى أنهم تخطوا على أفقها النّواعس كسلـــى

بعد زهر الشماع توقد وقـــدًا ومثال الذّبال تقتل قتـــــــلا»[1].

إن تنوع المجالات الفكرية في القيروان، بين الفقه والحديث، واللغة والنحو والفلسفة والمنطق والطب والتنجيم والفلك، والرياضيات، دون أن نهمل جانب الشعر والأدب حشد إليها العمالقة فكان منهم الشاعر والكاتب والأديب واللغّوي والنحوي وغيرهم.

[1] – ابن شرف القيرواني، ديوان، تحقيق: حسن ذكرى حسن ذكرى حسن، دار مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د ط، د ت، ص 89.

المبحث الثاني: عرض كتاب "مسائل الانتقاد"

أ-تسمية الكتاب:

لا يخلو أي كتاب من عنوان يحصر ما في عدد صفاحاته ويشير إلى هدف صاحبه أو مؤلفه وغايته، فنلاحظ أن الكتاب ابن شرف تحت عنوان "مسائل الانتقاد" حامت حوله العديد من الشكوك، فمهم من اعتبره "رسالة نقدية"، أو ما هو إلاّ عبارة عن مجموعة من مقامات كما يوضحه صاحب الذّخيرة في قوله: «**ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه وصبّ فيها على قالبه، منها مقامات فيها بعض طول لكنه طويل لكنه غير مملول آخذة بطرق مستطرف من أخبار الأدباء وذكر الشعر والشعراء**»[1].

طرحت مجموعة كبيرة من الأسئلة في الساحة النقدية بخصوص اسم مؤلف ابن شرف القيرواني في "مسائل الانتقاد"، فهناك تحقيقات ودراسات حول هذا الأخير إلاّ أنّها في اسماء وعناوين عديدة إما تحت عنوان "مسائل الانتقاد" أو "رسائل الانتقاد"، "أعلام الكلام" أو تحت عنوان "رسائل نقدية"، وأنّ هناك من نشرها مانحًا له اسمين أو خلط بين اسمين كما نجده عند طبعه الخانجي إذ يقول: «**أنجزت مسائل الانتقاد بلطف الفهم والانتقاد وهو أعلام الكلام لابن**

[1] – بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 152.

شرف القيرواني على لسان ابن الزيان، الصلت بن السكن....»[1]. يشير هذا الطرح أنّه لا وجود لاسم قاطع لهذا الكتاب بسبب تعدد الآراء حوله، لكن يمكن القول أن العنوان الأكثر تدولا من بين هذه العناوين، هو "مسائل الانتقاد" الذي يتكون من كلمتين، تشيران ربّما إلى المنهجية التي اتبعها ابن الشرف في تأليف كتابه، والكلمتين هما مسائل وانتقاد، وأنّ كلمة مسائل تعنى جميع لمسألة، وهو ما يسأله الإنسان في شيء ما لإزالة الغموض والوصول إلى الحقيقة واليقين، أما الكلمة الثانية وهي الانتقاد التي تعنى مناقشة هذه المسائل واظهار صحيحها وصوابها من خطئها، فمن هنا يمكن القول أن هذا العنوان يحيل إلى مجموعة من الأسئلة فيما يخص القضايا النّقدية المتعددة مثل ما بينه ابن شرف في مقدمة كتابه "مسائل الانتقاد" فيقول: «**غربيات التراجم، اختلفت فيها فصيحات الكلام، بديعات النظام لهما مقاصد ظرف، وأسانيد طرف يروق الصغير معناها والكبير مغزاها وغزوتها إلى الريان وأوردته علينا المعجزات، فمنعنا من علمه بحرًا جاريًا وقد حنا من فهمه زندًا واريًا**»[2].

فهذا العنوان "مسائل الانتقاد" يشير إلى الحوار الذي دار بين ابن شرف وابي الزّيان بن سكت بشأن العديد من القضايا النقدية المنتشرة في عصره، عصر النهضة والعلم والمعرفة في المغرب

[1]– ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، تح: عبد العزيز الخانجي، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر، 1926، ص 47.

[2] – ابن شرف، مسائل الانتقاد، ص 2.

العربي عامة، و"مسائل الانتقاد" عنوان يناسب القضايا التي اشار إليها ابن شرف بين دفني هذا الكتاب

ب-مناسبة تأليف الكتاب

إنّ الجو الذي عاشه ابن شرف في عصره تميز بروح المنافسة الإبداعية سواء من بين أدباء ونقاد القيروان أنفسهم أو ذلك التنافس بينهم وبين المشارقة كما يوضحه إحسان عباس في قوله: **«كما أّن التنافس الشديد بين الأدباء في حاضرة بنى زيري قد زاد من نموها، وزاد الأمر حدة أن القوم وصلتهم من خلال الثقافة المشرقية ذاهب شعرية متعددة»**[1]، وهكذا كانت جميع العوامل مسعفة على ظهور حركة نقدية في القيروان في شكل ملفت لنظر فكان من بين أعلامها، أبو عبد الله القزاز وعبد الكريم النهشلي، كما تميزت هذه الحركة بظهور منافسة ومهاجاة شديدة جمعت بين ابن شرف وصاحبه ابن رشيق في حضرة الأمير الصنهاجي الأمير معز بن باديس الذي يقرب تارة هذا وأخرى ذلك أضف إلى ذلك مجالس الشعراء والأدباء، مما زاد من شدة تنافسهما لنيل المكانة العليا.

لقد حركت هذه الظروف في ذاتية الشاعر والناقد ابن شرف أن يضع الحبر على الورق وأن يتخطى عتبة القول إلى الفعل والتأليف، ويسير وفق سابقيه من النقاد والأدباء في عصره، أمثال

[1] – إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب، ط 4، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1971، ص 439.

صاحبه ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر"، إلا أن حافزه في نظر بعض الدارسين والنقاد في تأليفه كتاب "مسائل الانتقاد" ما هو إلا رد على كتاب "العمدة" لمؤلفه ابن رشيق إذ يقول حسنى الحسني في ذلك: «**يهدف ابن شرف إلى معارضة كتاب العمدة "لابن رشيق**»[1]، من جهة أخرى نلاحظ أن ابن رشيق ذكره ذكرا حسنًا ومدحه في كتابه "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" يقول: «**شاعر حاذق، متصرف كثير المعاني والتوليد، جيّد المقطعات والتقصيد لا ينكر حذقه ولا يدفع سبقه**»[2].

وعلى صعيد آخر إذا عدنا إلى كتاب "مسائل الانتقاد" نجد أنّها رسالة نقدية تعرض ها ابن شرف على العديد من القضايا النقدية لمجموعة من الشعراء بمنهج خالف فيه نقاد عصره، كما أشار إلى العديد من عيوب الشعر، وقدم توجيهات عامة وشروط يستوجب على النقاد التحلي بها عند إصدار حكمه وفي هذا الصدد يقول إحسان عاس: «**ولكنه كان يعنى لأنّه يحاول أن يشد حتى عما اجمع عليه النّقاد. وأنّه يريد أن يضع تفسيرات جديدة**»[3].

ج-محتوى الكتاب:

ألف ابن شرف كتابه النقدي "مسائل الانتقاد على شكل مجموعة من المقامات، فقد تتبع

---

[1] – فازية مصباحي، القضايا النقدية في كتاب مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني، مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص 12.

[2] – ابن رشيق القيرواني، انموذج الزمن في شعراء القيروان، تح: محمد العروسي المطوى بشير البكوش، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ/ 1986م، ص 340.

[3] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند الغرب، ص 469.

نهج مقامات بديع الزّمان الهمداني، وهذا ما يبينه قوله: «**واحتذيت فيها ذهبت إليه ووقع تعريضي عليه، ومن بث هذا الأحاديث ما رأيت الأوائل قد وضعتهنّ في كتاب كليلة ودمنة فأضافوا حكمة إلى الطير الجرائم**»[1]. إلا أنّه كتاب يحمل باختصار مجموعة من المسائل النقدية أو بالأحرى المقاييس إلى يقيسون بها جودة الكلام ورداءته وجماله وقبحه، ولم يتعرض ابن شرف لهذه القضايا النقدية وحده، وإنّما هناك سابقين ولا حقين من بعده وكل على طريقته في عرضها.

أعدّ ابن شرف القيرواني هذه القضايا على شكل مقامات، فنراه يطوّل في قضية، ويقتصر في أخرى، وقد اتبع في أقواله أسلوب السجع الذي تختص به المقامات دون النقد، مما جعله هذا الأسلوب أن يجتهد غاية الاجتهاد وأن يختصر غاية الاختصار، وسعى أن يقرب البيان إلى الأذهان ويكشف جديد ما غفل عليه سابقيه من النقاد، بأسلوب رشيق دون إطالة ولا ملل، ويقول ابن بسام في هذا الصدد: «**ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه، وصب فيها على قالبه، منها مقامة فيها بعض طول لكنّه غير مملول آخذه بطرق مستطرف من أخبار الأدباء وذكر الشعر والشعراء**»[2]، وفي السياق نفسه لا حظنا بأنّ مقدمة هذا الكتاب "مسائل الانتقاد" تتشكل من مجموعة من الأحاديث جرت بين المؤلف "ابن شرف" و "أبي الرّيان الصلت بن سكت"، في العديد من القضايا النقدية المهمة في النقد العربي، إذ يقول: «**هذه أحاديث صنعته ما**

---

[1] – محمد ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 2.

[2] – احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص460–461.

مختلفة الأنواع مؤتلفة في الأسماع، عربيات المواشم، غربيات التراجم»[1]. غير أنّ ابن شرف وفّق في النهوض بالمقامة من حديث سريع مقتضب إلى كتاب له مقدمة وله فصول وخاتمه.

تعرض ابن شرف في كتابه على نقد ما لا يقل عن أربعين شاعرًا وآخرون تارة بالتفصيل والإطالة، وتارة مجرد ذكر لبعض النقاط، كما تناول النقد ومبادئه، إضافة إلى ذكر عيوب الشعر والعديد من القضايا النقدية التي شغلت نقاد العالم العربي والعالمي، وفي هذا السياق يقول إحسان عباس: «**فجاءت رسالته في قسمين: أولهما المقامة نفسها التي تتحدث فيها عن الشعراء، والثاني بيان سقطات عدد من الشعراء وبعض العيوب في الشعر، وعنى في القسم الأول بإبراز أهم ما يتميز به كل شاعر في الشعر وفي غيره... والقسم الثاني يتألف من مقدمة وتوجيهات عامة في النقد...، وليس في القسم الأخير جديد: هناك ذكر الناقد عددا من العيوب مثل اللّحن وخشونة الكلمات وتعقيد الكلام....»**[2]، والملاحظ هنا أنّ ابن شرف أحاط بالعديد من النقاط و القضايا التي يختص فيها الشاعر والناقد والدارس، بصورة وجيزة وضمنية من خلال صفحات كتابه "مسائل الانتقاد".

[1] – محمد ابن شرف، اعلام الكلام، تح: عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، ط 1، 1927، ص 13.

[2] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 461 – 468.

المبحث الثالث: مجالات اشتغال النقد في كتاب "مسائل الانتقاد"

شهد النقد في العالم العربي تطورات عديدة، فكانت عصوره الأولى يعتمد على الإحساس والذوق البسيط، لينتقل بعد ذلك لتطور حياة العرب الاجتماعية والعلمية، الفلسفية والأدبية، إلى مجموعة من المقاييس يقيسون بها جودة أي عمل أدبي، ويكشفون عن مساوئه سواء المتعلق بالجمال والقبح والرداءة، وقد كان الوصول إلى هذه القوانين والأساسيات من قبل اجتهاد العديد من اللّغويين والأدباء والشعراء، أضف إلى ذلك تأثرهم بالقضايا النقدية التي طرحت في الساحة الغربية.

أ-مقتضيات الممارسة النقدية:

ونستهلها في اظهار معنى النقد الذي هو: وضع حكم والفصل بين الجيّد والرديء، وعرفه شوقي ضيف إذ يقول: «**واستخدمها الصيارفة في التميز الصحيح من الزائف في الدراهم والدنانير ومنهم استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيّد من النصوص والرديء والجميل والقبيح وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة**»[1].

[1] – شوقي ضيف، النقد، ط 3، دار المعارف، مصر، 1919، ص 8.

نشأة النقد لا يأتي من العدم، وإنّما بعد ميلاد أي جنس من الأجناس الأدبية، فالنقد والأدب أمران متلازمان، متى وجد الأدب كان إلى جانيه النقد، وفي هذا الصدد يقول شوقي ضيف: «**وواضح أن الأدب يوجد أولا ثم يوجد نقده، ليس بسيط وهو أن يتخذه موضوعا له...، فالأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية والنقد موضوعه الأدب**»[1].

النقد فن يقوم بتفسير الأعمال الأدبية يشترك فيها ذوق الناقد، كما تختلف مبادئه ومعاييره وأحكامه باختلاف الفّن الذّي يمارس فيه النقد، فمناهجه وقضاياه في المجال الأدبي تختلف عن المجال الفلسفي وعنه في مجال السّياسي، فالنقد ليس مجرد وضع حكم مباشر على أي عمل أدبي، وإنّما يمر بعدة مراحل من دراسة الموضوع من كل الجوانب والمستويات. وإزالة الغموض والتفسير، والإشارة إلى الصواب والحكم في الأخير على جودته أو عكس ذلك أي رداءته، يقول محمد مصايف: «**فالعملية النقدية تتألف إذن من مراحل ثلاث، وهي: مراحل الدراسة والتفسير والتقويم وكل مرحلة من هذه المراحل لا يستغنى عنه الأدب بحال**»[2]. وليس للنقد من وضعت له قوانين ومبادئ، وإنّما الناقد في حد ذاته له قواعد وأساسيات يلتزم التحلي بها ليكون قادرًا على وضع حكم سديد على موضوعه الشعري أو النثري. وعلى صعيد مماثل يقول أحمد الشايب:

---

[1] – شوقي ضيف، النقد، ص 8.

[2] – محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، د ط، مركب الطباعة، الرغاية الجزائر، 1981، ص 16.

«ومهما تكن وظيفة النقد وغايته التي يعمل لتحقيقها فلا بد للناقد أن يكون ثاقب النظر سريع الخاطر مهذوب الذوق. قادر على المشاركة العاطفية مع الأديب والبراءة من المؤثرات التي تفسد عليه أحكامه»[1]، من بين المبادئ التي يجب على الناقد أن يتسلح بها امتلاكه للموهبة وهو ذلك الاستعداد الفطري، وقدرته على التفاعل وفهم العمل الأدبي وتحليله من جميع جوانبه وإمكانية الحكم الصائب.

يعد الذوق من الأساسيات والمعايير المهمة في النقد، وقد أشار إلى ذلك النقاد القدامى أمثال عبد القاهر الجرجاني والجاحظ وابن سلام الجمحي. إضافة إلى ابن رشيق وابن شرف، وقد ذكر هذا الأخير ذلك في كتابه "مسائل الانتقاد" عند طلبه من أبى الريان «**النقد هبة المواليد وفيه زيادة طارف إلى تالد، ولقد رأينا علماء بالشعر ورواه له ليس لهم نقاد في نقده ولا جودة فهم في رديئه وجيده»**[2]، فالنقد صبه فطرية تولد مع ولادة الأنسان.

يوجد معيار آخر وهي الثقافة وتعنى تلك المعرفة التي يحصل عليها الناقد من خلال دراسته وتجربته وخبرته وسعة اطلاعه على الكتب المتنوعة في مختلف المجالات التي قد تحلل أو تكشف جوانب الغامضة لموضوعه النقدي، ومعرفته بعلوم اللّغة من صرف وبلاغة ونحو، إن للنقد صلة وثيقة باللغة كونها أساس أي عمل أدبي وأساس النقد بذاته، ومن جهة أخرى على الناقد أن تكون

[1] – أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، 1994، ص 117.

[2] – محمد ابن شرف القيرواني، ومسائل الانتقاد، ص 9.

له دراية ومعرفة عامة عن عصور الأدب وخصائص كل عصر سواء كان من أعلامه البارزين والشعراء والكتاب أو تطور وظهور الأجناس الأدبية المختلفة، ضف إلى ذلك معرفته لمختلف العلوم الدينّية، وعلم الجمال والنفس، علم الاجتماع، وهذا ما يبيّنه قول الجاحظ: «**طلبت علم الشعر عن الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يحسن إعرابه. فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلاّ فيما اتصل بالأخبار وتعلق الأيام والأسباب فلم أظفر بما أردت إلاّ عند أدباء الكتاب: كالحسن بن وهيب ومحمد بن عبد الملك الزيان**»[1]. وهذا يدل أنّ القدماء يدعون إلى الاقتداء بالطبع وحسن الذوق والذكاء، إضافة إلى الثقافة الواسعة، وإذا عدنا إلى كتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني وجدنا أنّه أشار إلى نقطة مهمة وجب على الناقد التحلي بها، وهي عدم التسرع في الحكم وإصدار القرارات إلاّ بعد النظر الحاذق والفطنة، ليتمكن من التميز والحكم الجيّد، إذ يقول على لسان أبى الريان: «**أول ما عليه نعتمد وإياه تعتقد، أنّ لبا تستعجل باستحسان ولا استقباح، ولا ستبراد ولا باستملاح حتى تنعم للنظر، وتستخدم الفكر وعلم أنّ العجلة كل شيء موطئ زلوق ومركب زهوق**»[2].

القدامى ركزوا على ضرورة الجمع بين هذه المبادئ وعلى كل ناقد أن يتسلح بها من أجل أن يقدر على دراسة ونقد أيّ عمل فنّي دراسة وافية شاملة ويبرز جميع الجوانب الفنّية والجمالية.

---

[1] – الجاحظ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبين، تح: عبد السلام هارون، ط 1، الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 76.

[2] – محمد ابن شرف، مسائل الانتقاد، ص 9.

ب-الشعر والشعراء في كتاب "مسائل الانتقاد"

أبو عبد الله محمد بن شرف أديب وكاتب مترسل وشاعر فبل أن يكون ناقدًا، فقد نظم العديد من القصائد، وتميز شعره بالرقة والعذوبة، وكان سلس في الكثير من الأحيان، والأغراض التي بنى عليها شعره المدح والرثاء الصادق خصوصا ما نظمه في رثاء بلده القيروان بعدما هاجمها العرب، وأغراض أخرى من غزل وهجاء تارة يكون مداعبة وأخرى اقذاعا، وجمعت هذه المقاطع الشعرية في ديوان تحت عنوان ديوان "ابن شرف القيرواني" إذ لا يتعدى عدد أبياته الستمائة جمعها "حسن ذكرى حسن" بعد أن كانت متناثرة في كتب أدبية قديمة، لقي ابن شرف مكانة من خلال الجودة والبراعة التي نجدها في نظمه للقصائد، إذ يقول زميله ومنافسه ابن رشيق في ذلك: «**شاعر حاذق، متصرف كثير المعاني والتوليد، جيّد المقطعات والتقصيد، لا ينكر حذقه ولا يدفع سبقه. أشعر أهل زمانه من شق غباره واحذقهم من اقتفي اثاره**»[1]، وكان ابن شرف يقول الشعر بكل صدق مرتجلا إياه في مجالس دون كتابته لترقيعه وتصحيح عيوبه وأخطائه مثل ما يفعل غيره من الشعراء، فيأتي بالمقاطع واضحة المضمون مكشوفة المعنى وفاضحة المغزى، ذات ألفاظ عذبة بعيدة عن الغموض والخشونة، ومعطيا للموسيقى الشعرية أهمية من وزن قافية وإيقاع التي تجعل من اللغة شعرًا، ويقول ابن رشيق في هذا الصدد: «**شهدته مرات يكتب القصيدة في غير مسودة كأنّه يحفظها، ثم يقوم فينشدها: وأما المقطعات فما أحصى ما يصنع منها كل يوم**

[1] – ابن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 340.

بحضرتي –صاحبا كان أم سكرانا–ويأتي بها بديعا مخترعا لا تنصاغ لغيره على الفكر والرواية إلا جهدًا»[1].

عبر ابن شرف في قصائده عن كل تحول حدث في حياته بأسلوبه الخاص باعتبار الشعر بمفهومه العام كلام موزن ومقفي فهو أيضا صورة ذاتية لشاعر ووصف لما يحيط به، ويمتاز الشعر بشكله وبنيته عن باقي الأجناس الأدبية إلا أن جودته لا تقاس فقط في ذلك، وإنّما في مضمونه ومدى بروز واتضاح معناه وجماله، ومدى تأثر وفهم القارئ أو السامع لما يقوله الشاعر وقدرته على استيعاب الموضوع، والأخطاء والعيوب في الشعر العربي ظاهرة لازمته منذ أن وجد فابن شرف نقد فصيلة من الشعراء الذي يصل عددهم إلى أكثر من أربعين من المشرق والمغرب ومن الشعراء الذين ذكرهم، يقول إحسان عباس: «**ويتميز هذا القسم بظهور شعراء المغرب فيه إلى جانب المشارقة حين تحدث ابن شرف عن ابن عبد ربه، وابن هاني وابن درّاج القسطلي، وعليّ التونسي، كما يتميز بالوقوف عند الصنوبري والخبر أرزي، في سياق يضم أبا تمام والبحتري، وابن الرومي والمتنبي**»[2].

ويوضح ابن شرف من خلال نقده أهم العيوب والأخطاء التي وقع فيها الشاعر وبين أيضا غرضه الشعري، إضافة إلى إبراز أهم ما يتميز به كل شاعر على غيره، شرف في ذكر أغراض

---

[1] – ابن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص 340.

[2] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 462.

أحد الشعراء، إذ يقول هذا الأخير ابن شرف في ذكر أغراض أحد الشعراء: «**وأمّا العباس بن الأحنف فمعتزل بهواه، وبمعتزل عما سواه، دفع نفسه عن المدح والهجاء ووضعها بين يدي هواه من النسا، قد رقق الشغف كلامه، وثقفت قوة الطبع نظامه فله رقة العشاق وجودة الحذاق**»[1].

أما عن قضية قوة المعنى وفصاحتها وجودة ألفاظها التي تستوجب أن تظهر في الشعر ليبلغ مكانته ويستكمل شاعريته ويبلغ جماليته الفنية فإن الابتعاد عن التعقيد والألفاظ الخشنة وهي من عيوب الشعر يجعل الغموض يزول والمعنى أكثر وضوح، فيقول ابن شرف: «**وما يعاب به الشعر ويستهجنه النقد، خشونة حروف الكلمة كقول جرير:**

وتقول بورع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرها يابـــــوزع

وهذا البيت في القصيدة من أحلى قصائد جرير وأملحها، وأجزلها وأفصحها، فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة»[2]، فخشونة وغموض الألفاظ في القصيدة يفقدها الجمالية الفنية ويثقل وحدتها الموضوعية، ومن عيوب الشعر التي شغلت النقاد السرقات الشعرية التي وقع فيها العديد من الشعراء، إما من حيث سرقة الألفاظ أو المعاني أو كلاهما، وفي هذا الصدد يقول ابن شرف: «**ومن عيوب الشعر السرق، وهو كثير الأجناس، في شعر الناس. فمنها سرقة ألفاظ ومنها**

---

[1] – ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 6.

[2] – ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 16.

سرقة المعاني وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ. ومنها سرقة المعنى كله ومنها سرقة البعض ورققت وحقق رقائقه واستغنى فيه باللّمحة الدّالة عن الدلائل المتطاولة»[1].

فتكون الخطاب الشعري يستلزم عدة عناصر تتداخل لتؤسس شاعريته وتأكد تميزه عن باقي الأعمال الإبداعية الأدبية من لغة، والقصيدة عبارة عن بناء لغوى، واللغة قبل كل شيء عبارة عن ألفاظ وهذه الألفاظ يجب أن تكون فصيحة ومتداولة، إضافة إلى الموسيقى ثاني أهم عنصر في بنية الشعر مند القديم، والصورة الشعرية التي تعتبر عماد البناء الشعري إذ فيها يتفاعل بقية العناصر، فالخطاب الشعري لا يتحمل خصائص الخطاب النثري أو الكلام العادي، وفي هذا الصدد يقول محمد مرتاض: «**إنّه بهذا التحديد يتضح رأيه الصريح في الخطاب الشعري الراقي الذي يمتاز من غيره بصورته وإشراقته وبنيته وروعته فليس كل من ضّم التفعيلات إلى بعض وختمها بحروف روى وقافية يدعى شاعر، لأن الشعر صعب مركبه، ولولا هذه الصعوبة لبرز منهم في كل يوم أو شهر»[2].**

أشار العديد من النقاد والدارسين إلى الشعر والشعراء، فألفوا من خلال ذلك العديد من الكتب فنجد كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي حيث تحدث فيه عن مفهوم الشعر، وقسم الشعراء إلى طبقات يذكر فيها أسمائهم وأخبارهم ومميزات شعرهم، إضافة إلى كتاب "الشعر

---

[1] – ابن شرق القيرواني، أعلام الكلام، ص 37.

[2] – محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص 63.

والشعراء" لقتيبة، إذ يعدّ مصدرا أصيلا ومرجعا هامًا، وقد صنف فيه مشاهير الشعراء وكتاب "الممتع" و "مسائل الانتقاد "لابن شرف القيرواني، فكان اهتمام العلماء والأدباء بالشعر والشعراء إذ يحفظونه ويشرحونه ويفسرونه، فكل اسند في تصنيفه للشعراء إلى الجودة أو إلى كمية النظم ضف إلى ذاك الزمان والمكان اللذان يلعبان دور هاما في طبعة الشعر، ومن جهة أخرى لا يتوقفون في حدود إظهار المحاسن وإنّما يذكرون بعض عيوب شعرهم، إما عيوب نقص المعنى أو الألفاظ أو كلاهما، فمثلا ابن شرف إضافة إلى ذكره لقيمة الشعر وتعريفه، أدرج في كتابه" مسائل الانتقاد" بعض منها، وهذا ما يؤكده قول إحسان عباس: «**هنالك ذكر الناقد عدد من العيوب مثل اللحن وخشونة الكلمات وتعقيد الكلام**»[1]، فيوضع هذا القول عدة مواطن السرقة التي يمكن أن يقع فيها الشاعر والتي توضح على أنها قضية شائعة بين الشعراء وتظهر أيضا هذه الظاهرة على عدم اتكال الشاعر على نفسه في نظم شعره، وبالتالي عدم موهبته، وأنّ الشاعر الحاذق المتكلف هو الذي لا يقع في مثل هذه العيوب والأخطاء في عمليته الإبداعية.

فابن شرف من خلال كتابه "مسائل الانتقاد" استطاع أن يتحدث عن الشعراء ويشير إلى مجمل وأهم عيوب الشعر، ويبين أين تمكن جودة الشعر وقيمته الفنية والجمالية، إذ يقول محمد مرتاض في هذا الصدد: «**لقد تعرض ابن شرف على قيمة الشعر بشكل طفيف في آخر صفحات كتابه "مسائل الانتقاد" إذ يقول: وأحس الحسن منه –أي من الشعر–ما اعتدل مبناه وأغرب**

[1] – إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 468.

معناه وزاد في محمودات الشعر على ما سواه»[1]، فيمكن القول أنّ ابن شرف أشار إلى مجمل النقاط التي يجب أن يتشكل منها الشعر والتي من خلالها يمكن إصدار الحكم عليه، واظهار جودته أو عدمها والمفاضلة بين الشعراء.

[1] – محمد مرتاض، النقد الأدبي في المغرب العربي، ص 63.

الفصل الثانـي

موقف النقاد وابن شرف من قضايا النقد العربي القديم

المبحث الأول: موقفه من قضية السّرقات الشعرية

المبحث الثاني: موقفه من قضية اللّفظ والمعنى

المبحث الثالث: موقفه من قضية الطبع والصنعة

المبحث الأول: موقفه من قضية السرقات الشعرية

تعد السرقات الشعرية من المسائل التي اهتم بها النقاد منذ عهد مبكر، وألفت فيها مصنفات كثيرة بحثًا في جوانبها المختلفة المتباينة، سعيًا لكشف المزيد عنها وعن أنواعها وكان في بداية الأمر مجرد إشارات وملاحظات، وهي عبارة عن مرحلة تمهيدية لهذه القضية الأدبية العامة، إذ تعد هذه المسألة من أبرز الموضوعات التي عالجها النقد العربي في القديم والحديث، والهدف الرّئيسي من دراسة هذه القضيّة من طرف النقاد والدارسين للأدب هو الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها وقيمتها من حيث الجودة وحسن الإبداع، إضافة إلى تحديد المعاني المشتركة بين الناس وبين المعاني المخترعة التي وقعت فيها السرقة، إذ يشير "محمد مندور" إلى هذه القضيّة في قوله: « **أنّها مسألة خطيرة لا لأنّها شغلت النقاد من العرب أكثر مما شغلتهم أيه مسألة فحسب، وخاصة منذ ظهور أبي تمام وقيام الخصومة حوله بل لأنّها تتناول أهم ما تسعى إلى معرفته الدراسات الأدبية وهو أصالة كل شاعر و كاتب**»[1].

تناول العديد من النقاد هذه القضية من عدة زوايا فنجد منهم **القاضي الجرجاني، الآمدي، وابن الأثير** وغيرهم، وأشار إليها **الجاحظ** في كتاب "كتاب الحيوان" حيث قال: «**ولا يعلم شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب أو معنى شريف كريم، أو في**

[1]–محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، د ط، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص 357.

بديع مخترع، إلّا وكل من جاء الشعراء من بعده أو معه وان هو لم يعد على لفظة فيسرق بعضه أو يدعيه بأسْره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحد من أحق بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلّه يحدد انّه سمع بذلك المعنى قط وقال انّه خطرَ على بالي من غير سماع، لما خطر على بال الأول»[1] .

من خلال ما سبق نستخلص العديد من النقاط، إضافة إلى تحديد بعض أنواع السرقات التي يقع فيها الشاعر من حيث اللفظ والمعنى، وتعريف السرقة في اللّغة، يقول "**ابن منظور**" في لسان العرب: «مصدر **من فعل سرق والسارق عند العرب من جاء مستتر إلى حرْز فأخذ منه ما ليس له فإن أخذ من ظاهر فهو مختلف ومستلب ومنتهب ومحترس، فإن منع مما في يديه فهو غاضب»** [2] .كما تعرف بأنّها اسم من« **سرق منه الشيء يسرق سرقا واستراقه جاء مستتر إلى حرز، فأخذ مالا لغير** »[3]، ما من حيث تعريفها اصطلاحا فهي« **الأخذ من كلام الغير، وهو أخذ المعنى أو بعض اللفظ سواء أكان أخذ اللّفظ بأسره والمعنى بأسره»**[4]، وهي أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرف معانيها وألفاظها وقد يسطو عليها لفظًا ومعنى ثم يدعى ذلك لنفسه فالسرقات الشعرية لا تقف عند حد واحد، إنّما

[1]– الجاحظ، كتاب الحيوان، ص 351.

[2]–ابن منظور، لسان العرب، مجلد 10، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص156

[3]–الفيرو زابادي، القاموس المحيط، ط2، مؤسسة الرسالة، ص 1153

[4]–مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمجمعات واحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية،2004م، ص 427.

لها أنواع عديدة، إذ يقع الشاعر فيها وهي من عيوب الشعر منذ وجوده، كما أنّ النقاد والدارسين أشاروا إليها في كتب عديدة يقول "ابن رشيق" في هذا الصدد: «**فقد تكون خفيفة دقيقة ليس يدركها إلا من أوتي حذاقة بصيرة، وكان متحكما في صنعته وقد يكون بعضها واضحًا ومفضوحًا إلى درجة كبيرة حتى أن الجاهل المغفل يقف عندها**»[1].إن قضية السرقات الشعرية مسّت كيان القصيدة كله بينتها الداخلية من معاني وأسلوب وظاهرها من تسلسل الألفاظ والكلمات (الشكل).

-أسباب السرقة

لأي قضية من القضايا لا تكون إلا من ورائها أسباب ودوافع جعلت منها مسألة في متناول العديد من النقاد والدارسين، فقضية السرقات الشعرية لها أسبابها منها نجد أنّ الشاعر كثير الحفظ لأشعار غيره إذ يقع التباس في معانيه ويأخذ من ألفاظه دون قصد أو بذلك، وإما انّه لا يملك ناصية تنظيم أو بناء قصيدة وليس قادرًا ولا متكلفًا، فاعتماد أي شاعر على السرقة يعد عجز، ومن جهة أخرى يمكن اعتبار شفوية الشعر عند العرب سبب في وقوع السرقات والأخذ كما ينسبون للشعراء قصائد ليسوا بقائلها، إضافة إلى دور الرواة في التزيد والتزييف للأشعار ونحلها مثل ما فعله "حماد الرواية" حين أضاف شعرًا لغير قائله وألف أبياتا لقصائد من عنده، كما أن هناك سببًا آخر وهو رغبة الشاعر في الشهرة وإثارة انتباه القراء إليه فيستعين من كبار الأدباء السابقين له أو معاصريه، ويأخذ من ألفاظهم

[1]– ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر أدبه ونقده، ج2، ص 280.

ومعانيهم لتحقيق غايته، كما أن قلة أشعار بعض القبائل اضطرها إلى النحل والتقويل، ليلحقوا بالقبائل التي لها أشعار ووقائع كبيرة، حيث كان الشعر ديوان العرب ورمز افتخار كل قبيلة وبه تعلو مكانتها، كما يمكن أن نشير إلى أنّ الشعراء تجمعهم نفس المعاني والحياة الاجتماعية والثقافية، ويعيشون في نفس الزمن والمكان لذا يقع بينهم التشابه في المعاني والألفاظ الذي اعتبره النقاد والدراسيين مجرد اختلاس وأخذ، وفي هذا الصدد يقول "بشير خلدون":« **كانوا منذ القديم يستعينون بخواطر بعضهم، وكان المتأخر منهم يأخذ عادة من المتقدم إما عن طريق الراوية أو بحكم التأثر والإعجاب والمطالعة.** »[1].

وهناك أسباب أخرى أدت إلى تفشي ظاهرة الانتحال والاتهام بالسرقة مثل: الخصومة بين أنصار القديم وأنصار الحديث منذ ظهور "أبي نواس" ثم أبي تمام، إذ يقول محمد منذور في هذا الصدد:«**خصوم هذا المذهب سبيلا إلى رد ذلك الأدباء خيرا من أن يبحثوا للشاعر عن سرقاته ليدلّوا على انّه لم يجدد ذلك وإنما اخذ من السابقين ثم بالغ وأفطر**»[2].

كما أن الخصومة التي حدثت بين الشعراء والمنافسة بينهم دعاهم إلى اتهام بعضهم بعضا بالسرقة، يقول "محمد منذور:« **قيام خصومة كبيرة حول "المتنبي" فأنصاره بالغوا في مدحه وتغاضوا عن أخطائه مما دفع بخصومه إلى المبالغة في تسريقه وغض**

[1]– بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 217.

[2]- محمد منذور، النقد المنهجي عند العرب، ص 357_358

الطرف عن إحسانه.[1]» وهذه الأسباب يمكن أن ندرجها في نقاط كالتالي: اثر البيئة والمجتمع، تقاليد الشعر و عمود الشعر الذي حدد كيف يتناول الشاعر قصيدته وينظمها، مما يجعل الأشعار تتشابه، ثم الرواية وتلقين الشعر، كلها أسباب جعلت من قضية السرقات الشعرية تشغل حيزًا كبيرًا في دراسات النقاد والأدباء وتنشط الحركة النقدية وتثري المكتبات الأدبية.

-أنواع السرقات

تعد السرقات الشعرية من مساوئ الشعراء وعيوب شعرهم التي لم ينجوا منها أي شاعر إلا القليل، يقول ابن رشيق في هذا الصدد : «**وهذا باب متسع جدًا لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منهُ** »[2] . ويؤيده في ذلك القاضي الجرجاني يقول:« **والسّرق_ أيدك الله_ داء قديم وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الأخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه، وكان أكثره ظاهرًا كالتوارد...** »[3] .

تناول النقاد والدارسين هذه القضية من عدة زوايا، فنجد منهم من ألف كتابا في السرقات عند شاعر معين، وهناك من ألف في أنواع السرقات الأدبية على العموم وضربوا لها أمثلة من أشعار مختلفة، فنجد منهم "الجاحظ" والقاضي الجرجاني، ابن الأثير، وعبد

[1]-محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص165.

[2]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ص 280

[3]–القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،1966 ص214

الكريم النهشلي، إضافة إلى ابن رشيق وصاحبه ابن شرف، ونجد "الحاتمي" في كتابه حيلة المحاضرة، فقد وضعها في أبواب عديدة من باب الانتحال وباب الانحال، وباب الإغارة، وباب المعاني العقم، باب الموارد، باب الاسترداد في اللّفظ، باب إحسان الأخذ، باب نقل المعنى إلى غيره، وغيرها من الأنواع التي تُظهر اهتمامه الكبير لموضوع السرقات الأدبية.

يقول عبد العزيز عتيق:« **ولفظ السرقة في الأدب لا يقف عند حد الاعتداء على أدب الآخرين والأخذ منهُ، وإنما تتجاوز السرقة ذلك إلى أمور أخرى كالتضمين والاقتباس والمحاكاة والتحوير وعكس المعنى وما إلى ذلك** »[1] .

وعلى الرغم من تعدد هذه الأنواع إلا أن بعض منها تحيل إلى نوع واحد فقط اختلفت من حيث التسميات من عالم إلى آخر، فيمكن اختصارها في ثلاثة أنواع وهي سرقات معنوية وأخرى لفظية إلى السرقات الأسلوبية، أمّا السرقات المعنوية فهي خطيرة، حيث يعمل السارق في اخذ المعنى وتغيره حتى لا يكشف أمره يقول أبو هلال العسكري عندما يتكلم على حسن الأخذ، وتناول المعاني:« **ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في حسن تأليفها، وجودة تراكيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها**»[2]، والسرقات المعنوية بدورها أنواع كثيرة منها

[1]- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1972، ص320.

[2]-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت ح علي محمد البجاوي، وآخرون، ط1، دار الحياء الكتب العربية، 1952م ص196.

الاختلاس، الإلمام، النظر والملاحظة، الإغارة وغيرها، ومن جهة أخرى هناك منها ظاهرية يمكن أن يكشف بسهولة ويسر ومعرفة مصدرها لما قد يملك الرصيد المعرفي ومرجعيات ثقافية وفكرية وأدبية، فإن هذا النوع من السرقات تسمح لصاحبها إمّا بزيادة بلاغتها ومنحها صورة جيدة ويكون أبلغ من الأول أو يجعلها دون ذلك، ويقول الجرجاني في هذا الصدد:« ...**و أنّ يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل، والتباين، وأنّ أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه وترقى إلى غاية أبعد من غايته، أو انحط إلى منزلة هي دون منزلته**»[1] .

أمّا السرقات المعنوية الغير المباشرة أو الخفية فهي عديدة الأنواع منها النقل، القلب، والسلخ، وغيرها، فالسارق يعمد لإخفائها بشكل جيد محكم ويصعب اكتشافها، وتأتي في عدة مواضع مختلفة منها: أن يأخذ السارق المعنى ويستخرج منه ما يخدمه أو يشبه معناه أو يُؤخذ المعنى مجردًا من اللّفظ أو يأخذ المعنى ويزيد عليه معنى، والقليل من لفظه وهو أقبح السرقات، أو يأخذ المعنى ويزداد عليه معنى آخر أو يكسبه عبارة أحسن من أصلها وغيرها من المواضيع التي مست بالمعنى، يقع فيها الشاعر قصدًا أو بغير قصد، أمّا السرقات اللّفظية التي جاءت أيضا على اضرب عديدة، من نسخ وهو أن يُؤخذ فيه المعنى وأكثر في اخذ اللّفظ، وهناك ضرب آخر تحت عنوان الانتحال، وهو أن يأخذ الشاعر بيت من الشعر فينسبه إلى نفسه، وقد لخص محمد مرتاض هذه الأنواع في ثلاثة مباحث إذ يقول:« **الأول**

[1]–القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص191.

في ضروب السرقة وأنواعها وهو يشمل على تسعة أنواع تتلخص في الاغتصاب، الانتحـال الاهتدام، الإغارة، النظر(الإلمام)، الاختلاس، النقل، التلفيق، والاحتذاء، والثاني: في مراتب الأخذ، والمساواة، والتقصير، والثالث فيها يشبه السرقة وليس منها، وهي ثلاثة أيضا: التوارد(توارد الخواطر)، والاجتلاب، والتداول. »[1]وأمّا السرقات الأسلوبية فهي تظهر على مستوى الأسلوب والتي تتمثل أنواعها: في العكس وهو أن يأتي شاعر ببيت شعر لغيره فيعكس ألفاظه مثل:

«بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنوف من الطّراز الأول

إذ جاء هذا البيت عكسَ بيت حسان بن ثابت إذ يقول:

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطّراز الآخر»[2].

إضافة إلى الموازنة والوزن والقافية وهو احتفاظ السارق لشعر غيره عند سرقته المعنى بالوزن والقافية، فتأتي هذه القصائد متقاربة ويفضح الوزن والقافية مواطن السرقة، وهذه التقسيمات العديدة للسرقات الشعرية تدل على مدى اهتمام الدارسين والعلماء لها، إلا أنّها يمكن حصرها في نوعين سبق ذكرهما، وهما السرقة الظاهرة، والسرقة الغير الظاهرة.

شغلت مسألة السرقات الشعرية حيزًا كبيرًا في الساحة النقدية، فألف العديد من النقاد الدارسين كتباً تلخص أنواعها وتكشف غايتها وأهمية دراستها، فمن النقاد الذين أدرجوها في

[1]ـ محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص 98.
[2]ـ حسان بن ثابت، الديوان حسان بن ثابت، تح: وليد عرفات، ط1، دار صادر، بيروت،2006، ص180.

كتب وابدوا رأيهم فيما على عجالة، وفيهم من حدد جذورها وتعمق فيها ودرس جوانبها دراسة شاملة بصورتها ومعانيها الواضحة مثل ما يبينه قول عبد العزيز عتيق:« **من أوائل النقاد في عرضهم وتناولهم لمشكلة السرقات الشعرية، حيث نظر بعين الناقد البصير، وما من شك أن من جاء بعده من النقاد البلاغين، كابن طباطبا والمرزوباني، وأبي هلال، وابن رشيق، وعبد القاهر الجرجاني، والآمدي، والقاضي الجرجاني، والحاتمي، الحاتمي، ابن وكيع، وابن الأثير، استفادوا منه واقتفوا أثره ولكنهم اخذوا يتوسعون في بحث السرقات الشعرية وينوعوها ويفردون لها أبوابا ويطلقون عليها ألقابا عديدة وغريبة كالإغارة والاختلاس والاجتلاب**»[1].

نجد الباحث عبد العزيز عتيق الذي رأى الجاحظ من أوائل النقاد الذين أشاروا إلى قضية السرقات الشعرية وابرز مصطلحيها في جانبيها النظرية والتطبيقي، وتعمق فيها خلاف على غيره من النقاد الذي مهدوا لها وأعطوا لها تلخيصا، فإن الجاحظ قدم من خلال كتابيه" كتاب الحيوان" و"البيان والتبيين" عدة نقاط تخصّ هذه القضية، فقد قدم لنا أسبابها وأنواعها، فمن حيث الأسباب يرى أنّها تعود إلى نقاط أشار إليها **محمد عبد الغني** في كتاب تحت عنوان "نظرية الجاحظ في النقد الأدبي" إذ يقول:« **الإعجاب بتشبيه مصيب حيث يدفع بالمقلد إلى بتقليده، إذ أبدع الأديب لو الشاعر معنى غريبًا عجيبًا نال منه شهرة وطار**

[1]– عبد العزيز عتيق، تاريخ الأدب عند العرب، ص333.

كالمثل، قد يجيد الشاعر في التعبير عن معنى شريف كريم يعجب متذوقي الأدب ويعترفون له بالفضل به، فيدفع هذا الاعتراف الشاعر الثاني لتقليده أو محاولة الإغارة عليه، وقد يجيد الأديب في رسم صورة فنية متعددة الجوانب جميلة، ثم يأتي من يحاول الاحتذاء عليها»[1].

أشار الجاحظ إلى المواضيع التي تقع فيها السرقة أمّا في يخص اللّفظ أو المعنى، فرأى في ذلك أن اخذ اللّفظ والمعنى دون تغييره تعد سرقة، وبينما إذا حدث تحويل أو تعديل تنسب إلى آخذها وتصبح من إبداعه مثلما ذهب إليه ابن قتيبة في هذه القضية فقد عرج عليها في كتابه " الشعر الشعراء" في أكثر من موضع، أشار فيها إلى أنواع السرقة مثل السرقة الخفية كما انّه رأى أن زيادة الأخذ على المعنى المأخوذ يُتيح له فضل الزيادة إذ يقول في هذا الصدد: **«وكان الناس يستجدون للأعشى قوله:**

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

حتى قال أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللّوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه فالأعشى فضيلة السبق عليه ولأبي نواس الزيادة فيه»[1] ، كما أشار ابن قتيبة إلى سرقة الألفاظ مثل ما وضحه

[1]– محمد بن عبد الغني المصري، نظرية الجاحظ في النقد العربي، ط1، در حدلاوى للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987، ص200.

في شعر "زهير" عندما عمد إلى استعمال ألفاظ شعر "امرئ القيس" كما يشير إلى سرقة المعاني، لقد استعرض "ابن قتيبة" أنواع السرقة عند تحدثه ودراسته لفئة من الشعراء وجعلها فنًا وإبداعًا شرط أن يزاد شيء على المسروق حتى يكسب قمّة الجودة والبيان والبلاغة، أمّا على مستوى اللّفظ أو المعنى أو كلامهما، وفي هذا الصدد تقول **هند طه حسين:**« **وقال بفكرة السرقة المحمودة التي ألم بها الشعراء بمعاني القدامى وأحسنوا بما زادوا عليها فالبسوها بذلك ثوبًا جديدًا غير ثوبها، وبهذا يكون ابن قتيبة قد أخرج هذه القضية من دائرة الاتهام التي وُضعت فيها**»[2] . وبذلك فإن ابن قُتيبة قد أخرج هذه المسألة من الاتهام، كما برأ الشعراء من تهمة السرقة وعيبها، إذ اعتبر المعاني السابقة نقطة انطلاق بالنسبة إلى ما بعدها من معاني، وذهب أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" إلى نفس الفكرة حيث جعل لهذه القضية بابًا سماه :" حسن الأخذ، إذ يرى أن زيادة تنميق وتحسين في المعنى إذا سُرق يصبح غير ذلك ويحق على من احسنه أن يُنسب إليه، بينما القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" لم يعر اهتمامًا لنوع من السرقات وهي السرقات اللّفظية باعتباره المعنى هو أساس التأليف والإبداع إذ تبين مدى قدرة الشاعر على خلق معاني جديدة، وأشار القاضي الجرجاني إلى أن السرقة الشعرية لا تعد عيبًا كبيرا، وكان موقفه يلتقي مع موقف أبو هلال العسكري إضافة إلى الآمدي في ما يخص سرقة المعاني أمر لا يُؤخذ عليه الشاعر، ويقول الجرجاني في هذا الصدد:« **هناك أشياء مشتركة بين**

[1]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص113.

[2]– هند طه حسين، النظرية النقدية عند العرب، د ط، دار الرشيد لنشر والتوزيع،1981،ص188.

النّاس جميعًا لا يجوز ادعاء السرقة فيها: فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر...، والصعب المستهان بالمخبول في حيرته، والسليم في سهره، والسقيم في أنينه وتألمه، أمور متكررة في النفوس، مقصورة للعقول يشترك فيها الناطق والأبكم والفصيح والأعجم»[1] ، وما يرمي إليه الجرجاني من هذا القول، انّه لا يمكن اعتبار المعاني المشتركة بين الناس مجالا للحديث عن السرقة، فإذا جاء الشاعر بمعنى أو لفظًا مشابها لشعر غيره، فهو يعتبره من توارد الخواطر في المتداولة التي تكون للجميع.

كان للآمدي وابن قتيبة والجرجاني رأي في هذه القضية فلابن شرف القيرواني رأي إزاء هذه المسألة، وإن كان غير مفصلًا ولا مخالفا فيها عن غيرها، ولم يعرض هذا الأخير عليها مباشرة في كتابه "مسائل الانتقاد" بصورة مباشرة بل أدرجها ضمنيًا خلال تطرقه لعيوب الشعر مثل ما يبينه قوله:« **ومن عيوب الشعر السرق** »[2] ،وجعلها أمر لا يجوز أن يقع فيها أي شاعر، فإذا وقع فيها انحطت منزلته، وفقد إبداعه الشعري جودته، واعتبر شاعر عديم الموهبة، إذ يقول محمد مرتاض في هذا الصدد:« **يقرر ابن شرف في مفتتح حديثه عن هذه القضية أنّها شائنة من شائنات الشعر، وأنّها عيب كبير، لأن الشاعر الذي يهوي اختلاس معانٍ من اجل أن يختم معانيه، أو ينمق ببنى الآخرين ألفاظه، إنّما هو شاعر عديم الموهبة محل القريحة، جذب الخيال** »[3] ، لقد أشار ابن شرف إلى ما أشار إليه

[1]–القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص183.

[2]–ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص19.

[3]–محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص108.

سابقيه من النقاد في مواطن عدة وقدم لنا بعض أنواعها و تقسيماتها، إذ يقول إحسان عباس:« **وقد قسم السرقات في أنواع منها سرقة ألفاظ، وسرقة معان (وهي أكثر)، ومن النوع الثاني سرقة بعض المعنى أو كله أو سرقته باختصار أو بزيادة فيه أو سرقته دون زيادة أو اختصار وكان في ذلك كله يعيد تقسيمات من سبقوه.** »[1]. لم يقف ابن شرف في قوله أن السّرقة عيب من عيوب الشعر وأنّها ظاهرة تشوب معظم قصائد الشعراء وانّه لا يمكن أن نجزم بعدم وجود شاعر لم يقع فيها، وإنّما قدم تلخيصًا لأهم أنواعها في مقامته "مسائل الانتقاد" إذ يقول:« **وهو كثير الأجناس، في شعر الناس، فمنها سرقة ألفاظ، ومنها سرقة معانٍ وسرقة المعاني أكثر لأنّها اخفى من الألفاظ، ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة البعض، ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى، وهو أحسن المسروقات، ومنها مسروق بزيادة ولا نقص**»[2] ، وفي بداية هذا القول يصرح ابن شرف أن قضية السرقة تمسّ كل من اللّفظ والمعنى، ووضح بأن سرقة المعاني أكثرها، لأنها اخفى عن الألفاظ وقد يقع هذا العيب في اللّفظ والمعنى معًا دون استثناء احدهما، وضرب مثالًا في أحد أنواعها حين تحدث عن سرقة أبي نواس قال:« **كسرقة أبي نواس في هذه القصيدة التي ذكرنا معنى أبي الشيص بكماله، قال أبو الشيص:**

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

[1]–احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص468–469.

[2]–ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص19.

فسرقة الحسن بكامله فقال:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فهذا على أن بيت أبي الشيص أحلى وأطبع، وقد ذكر عن الحسن أنّه قال: مازلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذتهُ منهُ »[1]

أشار محمد مرتاض في كتابه "النقد الأدبي القديم" عن أنواع السرقات التي أشار إليها ابن شرف، وعدّدها في ستة أنواع وقدم تلخيصًا لما مثّل ما يقوله في نوع المسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى:« **وهذا العنصر أقل شأنا في القيمة من سابقه في نظر ابن شرف، وهو ما جعله يعدّه أقبح السّرقات، لأن المقلّد هنا يقع في حوشي القول والتكرار...، وسرقة محضة بلا زيادة ونقص: وهي أخطر السرقات وأقبحها، لذلك يعلق عليها ابن شرف بأن الفضل فيها للمسروق منه، ولا شيء للسارق ولقد قلّ هذا النوع عند الشعراء الكبار، ولكنّه انتشر مع رعيل الشعراء الذي أعوزتهم المعاني، ... فاضطروا إلى الاستعانة بغيرهم كي يُطعموا نصوصهم الشعريّة** »[2]. ولا يختلف ابن شرف مع غيره ممن درسوا القضية في سرقة المعاني باعتبارها نقطة مشتركة بين الناس، وهي ظاهرة لم يسلم منها أحد، إذ يبين مدى تمسك ودعوة الشعراء إلى أقوال سابقيهم من الشعراء، مثلما يبينه في قوله عن شعر امرئ القيس:« **هذا امرؤ القيس أقدم الشعراء عصرًا ومقدمهم شعرًا**

[1]–ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 19.

[2]– محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص110.

و ذكرًا، وقد اتسعت الأقوال في فضله اتساعا لم يقر غيره بمثله، حتّى أنّ العامة تظنّ بل توفق أن جواد شعره لا يكبو...» .[1] فمن خلال ذلك فإن سرقة المعاني المتداولة والمشتركة لا تعد كذلك، وإنّما يمكن الأخذ والرد فيها، بينما السرقة هي سرقة ما كان مبتكرًا وبديعًا.

بهذا نرى أنّ قضية السرقات الشعرية شغلت حيزًا كبيرًا في الكتب النقدية، وأصبحت من اهتمامات النقاد والدارسين للشعر وحتى النثر، إذ أشار الجرجاني في كتابه "الوساطة" إلى نقطة مهمة يقول: «**بأنّ الكشف عن السرقة لا ينهض بها إلّا الناقد البصير والعالم المبرز**»[2] ، فكان على النّاقد أنْ لا يحكم على شعر أنّه مسروق ويتهم المبدع بالأخذ إلّا بعد التأني والملاحظة الدقيقة لشعره ودراسته من كل الجوانب، وان يكون ملمًا بشتى العلوم وعارفا بمختلف القضايا الأدبية وحتى العلمية.

يعد ابن شرف أحد النقاد الذين تناولوا قضية السرقات الشعرية ولو بعُجالة، شأنه شأن نقاد المغرب العربي أمثال: ابن رشيق القيرواني والنهشلي، إضافة إلى الحصري، إذ ما فعلوه هؤلاء النقاد هو إعادة ذكر معايير وأسس هذه القضية وأوجه نظر مشتركة، مضيفين بعض الشروحات والأمثلة، مثل ما فعله ابن شرف في كتابه "مسائل الانتقاد" حيث أشار فيه إلى نقاط اشترك رأيه فيها على من سبقه من النقاد.

[1]–ابن شرف، اعلام الكلام، ص28.

[2]–القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص183.

المبحث الثاني: موقفه من قضية اللّفظ والمعنى

درس النقد العربي القديم، قضايا كثيرة ومتعددة وفريدة من نوعها، أسالت الحبر لدى الكثير من النقاد، ولعل أبرز هذه القضايا، قضية اللّفظ والمعنى فهي من أهم القضايا التي نالت قسطًا وافرًا، وأثارت جدلًا واسعًا، فكثر حديث النقاد عليها، وانقسموا إزائها إلى ثلاثة أصناف، منهم من يُفضل المعنى على اللّفظ، ومنهم من يُفضل اللفظ على المعنى، ومنهم من وقف موقفا وسطا توفيقيًا فاهتم بطرفي الثنائية ولم يفصل بينهما، إذ أشار بشير خلدون إلى هذا في قوله:« **وهناك قسم ثالث اتخذ موقفا معتدلا يهتم بالألفاظ والمعاني في آنٍ واحد، واعتبرهما بمثابة الروح للجسد. ويمكن أن نطلق على هؤلاء اسم المدرسة التوفيقية** »[1].

يعود التطور الذي شهده النقد العربي أساسا إلى النقاد القدامى، فهم الذين أثاروا هذه القضايا النقدية، وأضافوا إليها أشياء جديدة، وسعوا إلى تطويرها والرّفع من شأنها وقيمتها. فقضية اللّفظ والمعنى كانت حاضرة في الفكر الغربي واليوناني والمتمثلة في فلسفة كل من أفلاطون وتلميذه أرسطو: «**غلب تأثير النظرة المنطقية على كثير من الدراسات البلاغية والنقدية عند العرب، فالمتكلمون أصحاب فلسفة وجدل ومنطق وصِلتهم بالبلاغة وثيقة كما تعرف في تاريخها**»[2] ، فقد ارتبطت هذه الثنائية بالمنطق والفلسفة، كما أنّها دخلت

[1]–بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص169.

[2]–محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1989،ص262..

العديد من المجالات اللّغوية والدينية والأدبية، وبرزت بشكل ملحوظ وكبير في المجال اللّساني والدراسات القرآنية.

قبل الحديث عن موقف ابن شرف القيرواني إزاء هذه القضية، لابد لنا أولا أن نتطرق إلى موقف النقاد الآخرين ووجهات نظرهم حول ثنائية اللّفظ والمعنى حيث انقسموا إلى ثلاثة فروع أساسية:

فئة تركز على اللفظ دون اهمال المعنى، وعن هذه الفئة، ونجد الجاحظ من أبرزها بل يُعد من اعلامها مع أبو هلال العسكري، فالجاحظ قد أولى أهمية كبيرة للفظ لكنّه لم يهمل المعنى في قوله: «**حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية. وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة معدودة**» [1]، فمن خلال قوله هذا يتبين لنا أنّ الأصوات هي آلة الألفاظ، وأنّ الألفاظ تختلف عن المعاني فالمعاني مبسوطة لا نهاية لها. فمن خلال هذه المقولة بنى نظريته المشهورة والمعروفة المتمثلة في أنّ:« **المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللّفظ، وسهولة المَخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التصوير**»[2] فالجاحظ لم يهتم بالمعنى ولكنّه جعله مطروحا ومتداولا في الطريق يتناوله عامة

[1]–حميد آدم ثويني، منهج النقد الادبي عند العرب، ط1، دار الصفاء، عمان، 2014، ص 97.

[2].–الجاحظ، كتاب الحيوان، ج3، ص331.

الناس وأنّها صفة مشتركة بينهم، العجمي، العربي، البدوي...، لكنّه لم يقف عند هذا الحد بل بيّن موقفه حيث أنّه أعطى الأهمية الكبيرة للمعنى وفضّله على اللّفظ، فالمعاني هي التي تصوغ الألفاظ، ونستشف من خلال مقولته السابقة أنّه لا يمكن الفصل بينهما حيث يبين ذلك هذا القول:« **فإنه لم يقل إطلاقا بفصل اللّفظ عن المعنى، ولم يقل بفصل المعنى عن اللفظ، بل قال بهذه النظرية خدمة للإعجاز القرآني، والدليل على أن الجاحظ يكن من أولئك الذين فضلوا اللّفظ عن المعنى** »[1] .

جاء أبو هلال العسكري مؤلف كتاب " كتاب الصناعتين" ،بعد الجاحظ وقدم من خلال هذا الكتاب خلاصة لما توصل إليه النقاد الذين سبقوه أمثال: ابن قتيبة في وابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات الشعراء"، وخلال كتابه نجد أنّه سار على نفس منهج الجاحظ فجاء لتكملة نظريته، فقد كان من دعاة تغليب اللّفظ على المعنى، فمن خلال مقولة الجاحظ المشهورة "المعاني مطروحة في الطريق"، نجد أنّ أبا هلال العسكري قد وافقه في رأيه حين قال:« **ليس في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنّما هو في جودة اللّفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته، ومائه، مع صحة السبك، والتركيب والخلو من أود النّظم والتأليف** »[2]. فهاتان العبارتين للجاحظ و أبي هلال العسكري قد فُهمت بشكل خاطئ من طرف النقاد، حيث أنّهم فضلوا اللّفظ على المعنى

[1]– بن طرية عمر، قضايا النقد الأدبي في كتاب الكامل المبرد، مجلة مقاليد، العدد11،2016، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص174.

[2]–محمد علوي بن يحي، نظرية النظم عند أبي هلال العسكري، مجلة الأندلس، العدد11،2016،جامعة الأندلس، ص23.

من منطلق أنّ الألفاظ تكون منطوقة ومسموعة يتناولها المبدعون فيما بينهم. فالألفاظ تدل على شيء واحد، على عكس المعاني فهي تدل على أشياء كثيرة، فالأمر لم يتوقف عند النقاد القدامى وإنّما وصل إلى العصر الراهن في ما يخص رأيا الجاحظ وأبو هلال العسكري إزاء هذه القضية ألا وهي قضية اللفظ والمعنى، وهذا ما يبينه هذا القول:« **ولعل أبرز من تحامل على هذين العالمين من غير تبصر (بدوي طبانة)، إذ يقول: كان العسكري من مدرسة الجاحظ، التي تتشبع للصياغة وتتعصب للفظ، وربما كان العسكري أكثر من رأينا مغالاة، في تقدير قيمة اللّفظ، يجعله في الأثر الأدبي كل شيء ويجدد المعنى، فلا يجعله شيئا**»[1] ، فالجاحظ و أبو هلال العسكري من بين النقاد المناصرين لقضية اللّفظ ،فأحدث رأيهم هذا جدلا حاداً، وحفز النقاد و الدرسين غيرهم إلى البحث الدقيق و التعمق في هذه المسألة والوصول إلى ما هو أقرب إلي الصواب.

جاء عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم في القرن الخامس الهجري للفصل بين القضية، فكان من أنصار اللفظ والمعنى ولم يكن محايدا لأي منهما، وهذا القول خير دليل على ذلك: «**وقف على الصراع المحتدم بين أنصار اللّفظ وأنصار المعنى** »[2].

استفاد الجرجاني من النظريات السابقة، واستغلها أحسن استغلال، وأشار إلى أشياء لم يتطرق إليها النقاد السابقين في كتابيه" دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، حيث أدرك سر

[1]–محمد علوي بن يحي، نظرية النظم عند أبي هلال العسكري، ص24.

[2]–محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني، ط1، دار الفكر، دمشق،1998، ص156.

العلاقة القائمة بين اللّفظ والمعنى، ورفض التحيّز لأي احد من هما، فقد ربطهما بنظرية النظم حيث يقول مصطفى عبد الرحمان إبراهيم في هذا الصدد:« **جاء عبد القاهر الجرجاني بعد أصحاب هذه المذاهب جميعا، وقد استفاض كلامهم فيها، وجدلهم حولها، فاجتمعت لديه آراؤهم، وأفاد من خبرتهم، ولكنّه تجاوزهم إلى رأي خاص، وكانت له في هذا المجال أصالة وتعمق** »[1] ، ونظرية النظم المعروفة لدى عبد القاهر الجرجاني استوحاها من الفكر الموجود لديه المتمثل في النحو والبلاغة، فهذه النظرية فتحت عدة مجالات للكثير من الدراسات المرتبطة بعملية التأثير والتأثر بين الناس في كل زمان ومكان، فقد استفاد كثيرا من علم النحو البلاغة وفقه اللغة، فهذه النظرية العائدة لعبد القاهر الجرجاني يرى ويبين من خلالها أن اللّفظ هو الوسيلة والمعنى هو الغاية، فكلمّا كانت الألفاظ مبتدعة بذكاء نسبت إلى صاحبه، فهو اهتم بالصياغة اللّفظية إذ يقول في هذا الصدد:« **ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب**»[2].

ربط عبد القاهر الجرجاني بين اللّفظ والمعنى، ورأى أن اللّفظ يرمز لمعناه من خلال الآراء التي قدمها والمتمثلة في:« ...**أنّ اللّفظ رمز لمعناه، وهو في ذلك يتلاقى ذلك مع النقاد العالمين القدامى، والمحدثين ومع مدرسة الرمزية في اللّغة، فالكلمة رمز للفكرة أو**

[1]–مصطفي عبد الرحمان، في النقد الأدبي القديم عند العرب، د ط، مكتبة للطباعة،1997، ص198

[2]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ت ح: محمد تنجي، ط1، دار الكتب العربي، بيروت، 2005، ص 176.

التجربة أو العاطفة أو المعنى، وقيمتها ترمز إليه»[1] ، وهناك موقف آخر يتمثل في:« **العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هي رأي عبد القاهر الجرجاني موطن البلاغة، هي ما عبر عنه بالنظم، وما يعبر النقاد عنه بالشكل أو الصورة، فمن مجموعة العلاقات بين الألفاظ في النص الأدبي تتكون الصورة، وفيها تظهر البلاغة الجمالية** »[2] ، فمن خلال هذه الآراء التي قدمها، قام بصياغة فلسفته البلاغية التي جعل محورها نظرية النظم، حيث ربط فيها بين اللّفظ والمعنى، كمّا أنّه أعطى لكل منهما حقه وجمع فيّما بينهم، إذ يقول محمد زكي العشماوي:« **ينتهي(...)، إلى أنّه لا انفصال بين عنصريّ اللّفظ والمعنى في عملية الحلق الأدبي فهما يولدان معًا في نفس اللحظة، وكذلك لا انفصال بينهما في عملية النقد الأدبي** »[3] ، إذن من خلال ما قدمه لنا عبد القاهر الجرجاني يتبيّن لنا أنّ هناك علاقة قائمة بين اللّفظ والمعنى فهما عنصران متكاملان لا يمكن الاستغناء على أي واحد منهما، فكل واحد يحتاج إلى الأخر، فلا يمكننا الفصل بين الجسد والروح.

اتجه ابن رشيق القيرواني نفس اتجاه ما تؤول إليه نظرية النظم لصاحبها عبد القاهر الجرجاني حين اعتبر اللّفظ والمعنى شيئا واحدا متلازما ملازمة الروح للجسد، ولا يمكن الفصل بينهم إذ يشير إلى ذلك فيقوله:« **اللّفظ جسم، وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللّفظ كان**

[1].–مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص198.

[2].–المرجع نفسه، ص198.

[3].–محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ط2، دار الشروق، 1994، ص702.

نقصا للشعر، وهجنه عليه، وكذلك إذا ضَعُف المعنى واختل بعضه كان اللّفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح وإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللّفظ مواتا لا فائدة فيه»[1] ، ونستشف من خلال قوله هذا، أنّه وقف موقفا معتدلا يرفض النظرة الأحادية إلى طرف دون الآخر، فقد مثّل الألفاظ والمعاني بالكائن الحي فاللّفظ جسم والمعنى روحه، فالذي يصيب الأوّل فإنّه يصيب الثاني، حيث عمل على التوفيق بينهما لكونهما يشكلان علاقة تكاملية مترابطة يستحيل الفصل بينهما.

يعد ابن شرف القيرواني من بين النقاد القدامى الذين أولوا اهتماما كبيرا لقضية اللّفظ والمعنى، فهو لا يختلف كثيرا عن ابن رشيق القيرواني في تشبيه اللّفظ والمعنى بالجسد والروح، إذ قول ابن شرف في هذا الصدد:« **والمعاني هي الأرواح، والألفاظ هي الأشباح فإن حسُنا فذلك الحظ الممدوح، وإن قبُح أحدهما فلا يكون الروح** »[2] . فاللّفظ والمعنى في نظره يشتركان في الحسن، وصفة القبح تخص بها الألفاظ، وهو في قوله هذا لا يهمل الجانب المتعلق بالألفاظ وإنّما يدعو إلى عدم إصدار الأحكام على الألفاظ إلا بعد التمعن في المعاني التي تحملها، ويؤكد ذلك قوله:« **فكم من معنى عجيب في لفظ غريب** »[3] فهنا يشير إلى أن الألفاظ والمعاني لا يتناسبان خلال كلمتي (عجيب وغريب)، فربما تكون الألفاظ فصيحة ونقية، وفي المقابل ربما لا تستحق معانيها تلك الصفات التي تتحلى بها

[1]-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص217-218.

[2]-ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص9.

[3]- المرجع نفسه، ص9.

الألفاظ، حيث يقول ابن شرف في هذا الصدد:« **فإنّ من الشعر ما يملأ لفظه المسامع، ويرد على السامع منه فقاقع، فلا يرعك شماخة مبناه، وانظر إلى ما في سكناه من معناه، فإن كان في البيت ساكن، فتلك المحاسن، وإن كان خاليا، فأعدده جسما باليا** »[1] . والعكس صحيح فربّما تكون الألفاظ سيّئة وضعيفة، وهذا لا يعني أن المعاني تكون ضعيفة، فيستحسن التدقيق في المعاني حتى وإن كانت الألفاظ مبتذلة، إذ يقول: «**فإذا سمعت ألفاظا مستعملة، وكلمات مبتذلة، فلا تعجل باستضعافها، حتى ترى ما في أضعافها**»[2] .

فابن شرف القيرواني من بين الذين يواكبون أراء النقاد القدامى، ويسير على نهجهم باتخاذه قضية اللفظ والمعنى ودراستها في كتابه "مسائل الانتقاد"، وهذا التأثر يعود أساسا إلى الاهتمام بتلك القضية التي ذاع صيتها لدى النقاد، فهي لا تزال إلى عصرنا الحالي تشغل بال واهتمام النقاد ويقول بشير خلدون:«**لقد اهتم النقاد الأوائل بالمعاني عندما كان النقد فطريا يغلب عليه طابع تحكيم الذوق، الآن النقاد في تلك الفطرة كانوا متأثرين بمقياس الدين والأخلاق** »[3] .

حين نتطلع على كتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني نحس أنه لم يتعمق في قضية اللّفظ والمعنى، فربما يعود السبب إلى قصر مقاماته أو إلى أسباب أخرى فالشيء

[1]– ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص9.

[2]– المرجع نفسه، ص9.

[3].–بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص170.

الذي لاحظناه أنّه قد أعطى أهمية كبيرة للمعاني على حساب الألفاظ، حين عَرض لنا دراسته لشعر مشاهير الشعراء، وقدم أحكام تشمل مستويات اللغة.

قسم ابن شرف اللّفظ المعنى إلى اضرب عديدة مثل ما فعله ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء"، إذ قسم الشعر إلى أربعة اضرب، وفي هذا الصدد يقول:«**تدّبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:**

- **ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه**
- **ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتَشت لم تجد هناك فائدة في المعنى.**
- **ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه.**
- **ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه**»[1].

قد مثل هذه الأضرب الأربعة بأبيات شعرية بيّن فيها صحة التقسيم للشعر، كما أنّه أكد وعلّل أفكاره، وقد قسمه من حيث الجودة والرداءة، فابن قتيبة من بين النقاد الذين يُقدرون قيمة كل من اللفظ والمعنى وجمالية النص الأدبي، حيث جعل بينهما علاقة وثيقة وربطهما ارتباطا قويا، إذ يقول عثمان المواغى في هذا الصدد:«**ويبدوا أنه كان يهدف من وراء هذا التقسيم العقلي إلى التأكيد على ناحية فنيّة في الشعر، وهي أنّ جودته الفنيّة لا تتحقق**

[1].–ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص63–69.

باللّفظ وحده ولا بالمعنى وحده، وإنمّا بائتلاف هذا بذاك أي اللّفظ بالمعنى»[1]، فمن خلال هذا الكلام نلتمس بكل تأكيد الصلة التي تربط بين اللّفظ والمعنى، فهما متكاملان ومتلازمان فهما عنصرين هامين في خلق أيّ عمل أدبي، فالشعر الحسن يعود إلى انتظام عناصره وملائمة مبانيه لمعانيه.

توصل ابن شرف القيرواني إلى وجود علاقة بين اللفظ والمعنى، لكنّه لم يتعمق في تلك القضية بل أشار إليها ضمنيا في كتابه "مسائل الانتقاد"، فهو قد تفطن إلى أن اللفظ والمعنى علاقة وطيدة، وهما أساس بناء أي عمل أدبي سواء كان شعرا أو نثرا.

[1]–عثمان مواغى، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد الأدبي القديم تاريخها وقضاياها، ط 1، دار المعرفية الجامعية مصر، 2000، ص47

المبحث الثالث: موقفه من قضية الطبع والصنعة

أثارت قضية الطبع والصنعة كبار النقاد فتناولوها بالشرح والتحليل والنقد والإيضاح، كما أحدثت عدة معارضات في الحركة النقدية، فالملاحظ أنّ هذه القضية لها فرعين وهما: فرع الطبع، وفرع الصنعة، إذ نجد من النقاد من ينحاز الى مدرسة الطبع، وفئة تنحاز الى الصنعة، وأشار العديد من النقاد إلى هذه القضية في كتب عديدة منها "البيان والتبيين" للجاحظ، وكتاب "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني.

تعد هذه مسألة –الطبع والصنعة–مقياس تقاس بها جودة ورداءة الشعر، ووسيلة للمفاضلة بين الشعراء، فذكرت تعاريف كثيرة حولها وحول ماهيتها وغايتها، فجاء في لسان العرب لابن منظور في تعريفه اللّغوي للطبع: «**الطبع والطبيعة الخليقة والسّجية التي جُبل عليها الإنسان، وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعا: فطره، وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها وهي خلائقهم، يطبعهم طبعًا: خلقهم، وهي طبيعته التي طبع عليها** »[1].

يعتبر الطبع صفة ملازمة للإنسان وهي فطرة مغروسة لديه، فتختلف عند كل واحد إذ أنّ ميول أحد إلى شيء لا يتناسب مع غيره، يقول مصطفى درواش في هذا الصدد: «**أنّ**

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص232.

الطّبع عبارة عن صفات ثابتة، تميّز شخصا من سواه، وهذه الصّفات المميّزة والدّالة، يتشخص فيها الأفراد والجماعات من حيث السلوك والشعور والملامح الذّاتية، بمنأى عن سلطة المجتمع وأثر الذكاء وفي حقل الابداع، فإن الطبع يبين عن شخصية مستقَلَة»[1] .

أمّا المفهوم المتداول للطبع في الشعر منذ القديم، هو ذلك الشعر الذي يصدر عن صاحبه دون تكلف أو مثابرة بل يأتي فطريًا منذ الولادة، وفي مفهومه الاصطلاحي عند دارسي هذه القضية، فنجد الأصمعي الذي يرى أن الشاعر المطبوع هو ذلك المتمكن من نظم الشعر دون تكلف أو عناء، إذ يستطيع إنشاء شعر دون سابق إعلام، أو دون أن يتهيأ له، و« **الذي يرمي الكلام على عواهنه، جيّده على ردئه، فالشاعر المطبوع عند الأصمعي هو الذي يقول الشعر عفو الخاطر دون أيّ مراجعة أو تنقيح أو تثقيف ومقياس الطبع عنده هو عدم التساوي في الجودة، فالشاعر المطبوع هو الذي يكون في شعره الرديء والجيّد** »[2].

وآخر يعرف هذا المذهب_ الطبع _ على أنّ الشعر يأتي بفطرة الشاعر دون اجهاد لنفسه وهذا ما يبيّنه قول أبو هلال العسكري: «**وأمّا قروب المأخذ، فهو أن تأخذ عفو الخاطر، أن تتناول صفو الهاجس، ولا تكد فكرك، وتتعب نفسك وهذه صفة المطبوع»[3].**

[1]– مصطفى درواش، خطاب الطبع والصنعة، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص18.

[2]– إسماعيل حسين، قضية الطّبع والتكلف في التراث النقدي، مجلة كلية الآداب، عدد5، د ط، كلية التربية جامعة مصرانة، ص97.

[3]–أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص61.

نجد أنّ ما أشار إليه النقاد بخصوص مفهوم الطبع يرجع إلى أساس واحد وهو أنّه ذلك الشعر الذي يولد مع فطرة الإنسان ويكون عفويًا دون تكلف أو إعمال فكره.

تعرف الصنعة التي هي نقيضة الطبع، فجاء في تعريفها اللّغوي في لسان العرب لابن منظور: «**والتكلف: العريضة كما يعنيه...، وكلفه تكليفا: أي أمره بما يشف عليه، والتكلف للشيء: تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك**»[1]، يتبيّن من خلال هذا التعريف أن الصنعة تتطلب المهارة والبلاغة، ومشقة النفس، وإعمال العقل، وإتيان بما هو بديع وبليغ متكلف.

يؤكد المرزوقي صحة ما سبق في كتابه "شرح ديوان الحماسة" إذ يقول: «**ومتى جعل زمام الاختيار بين العمل والتكلف عاد الطبع مستخدمًا متملكًا واقبلت الأفكار تستحمله اثقالها، وتردد في قبول ما يؤدي إليه مطالبة له بالإغراب والصنعة ويتجاوز المألوفة الى الدّقة فجاء مؤداه وافر التكلف يلوح على صفاته وذلك هو المصنوع** »[2]

يأتي الشعر المصنوع بعد ممارسة وجهد وعناء عند الشاعر، فلا يُعلم عنه حتى يُنّقِحه ويصححه ويزيد ألفاظا ومعاني إلى أن يكتمل بنائه ويكتسب جماليته الفنيّة، ويصل إلى قمة جودته، وهذا ما أشار إليه مصطفى درواش في كتابه خطاب الطبع والصنعة:« **فالصنعة هي تعلم وتجربة وحرفة وممارسة منظمة، وإتقّان وبراعة، لأنّها لا تحصل، إلّا بالتّعهد**

[1]–ابن منظور، لسان العرب، ص356.

[2]– ابن الحسن المرزوقي، ديوان الحماسة، تح: ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ص13.

الذي يعدّ ركيزتها الأولى، وتبرز أكثر في الصياغة الجمالية، كما أنّ الصنعة لا تستوي دون صقل وتهذيب »[1].

تعد قضية الطبعة والصنعة من أهم القضايا النقدية _كما أشرنا إليها سابقا_ فهي ليست من عيوب الشعر فكلاهما تخدمانه في مختلف جوانبه، كما تخدم الناقد وتساعده في تقييم القصيدة والفصل بين الشعراء والتمييز بينهم والمفاضلة بين شعرهم.

أشرنا سابقا أنّ قضية الطبع والصنعة تناولها العديد من النقاد والدارسين، وأسالت الكثير من الحبر في مجال النقد خصوصا في القرن الرابع هجري، فاقسم الشعراء منهم من صب اهتمامه بالطبع، ومنهم من اهتم بالصنعة، أمثال أبي تمام والمتنبي، فقد تمّ الحكم عليهما فالمتنبي يعرف شعره بالمطبوع، في حين حكموا على شعر أبي تمام بالمصنوع أقر ابن رشيق القيرواني بذلك في قوله:« **إنّمّا حبيب القاضي العدل، يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقه، بعد طول النظر والبحث عن البنية كالفقيه الورع، يتحرى في كلامه، ويتحرّج خوفًا على دينه، أبو الطيّب كذلك الجبار يأخذ ما حوله قهرا وعنوة، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده، لا يبالي ما لقى، وحيث وقع** »[2] ، يظهر من خلال قول ابن رشيق أن أبا تمام قبل خوضه لغمار الكتابة يختار ألفاظه بدقة، ويستعمل المعاني المناسبة له، وقد شُبه بالقاضي العادل الذي يحيط بكل أمور المعرفة، بالإضافة إلى وصفه بالفقيه المتطلع

[1]– مصطفى درواش، خطاب الطبع والصنعة، ص25.

[2]– ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص133.

إلى كل شيء، على عكس المتنبي الذي يستعمل ألفاظ دون أن يتهيأ لها. وهذا دليل على أنّ ابن رشيق رأى أن الشعر فيه المطبوع والمصنوع، إذ يشير إلى ذلك بشير خلدون في قوله:« **وهو يفيدنا منذ البداية بأنّ الشعر فيه المطبوع وهو الأصل الذي يبنى عليه، وفيه المصنوع، والشعر المصنوع نوعان مصنوع مهذب، ومتكلف، وعلى هذا الأساس فالشعر عند ابن رشيق ثلاثة أنواع.** »[1] .

يعد ابن رشيق من بين النقاد الذين يفرقون بين الطبع والصنعة لكون المصطلحين مختلفين من حيث المفهوم والماهية، مثل ما يبيّنه هذا القول: « **وهو يحترز عند ذكر الصنعة والشعر المصنوع من خلط ذلك بالتكلف، فعند استحسانه الصنعة ينفي دخول الكلفة وآثارها في دائرة استحسانه، فهو بهذا المفهوم قد سبق إلى تحديد مدلول المصطلحات وتنقيتها من الخلط الذي علق بها زمنا**»[2] ، بينما يعد الجاحظ من رواد قضية الطبع والصنعة في الشعر، ويوضح الفارق الذي يكمن بينهما، إذ يبين أن الصناعة ناتجة من الإبداع، واعتبرها السبك الجيد والانتقاء والانتخاب سواءً ما تعلق الأمر بالمعاني أو بالألفاظ، في حين يرى الجاحظ أن مفهوم المطبوع في الشعر هو ذلك الشاعر الذي يمكنه قول الشعر ارتجالا واسترسالا، دون أن يجهد نفسه، وفي هذا يقول:«**وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إحالة فكر واستعانة**

[1]– بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص207.

[2]–داود محمد، في النقد الأدبي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران، 2010،2011، ص 105.

وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام..، فما هو يصرف إلى جملة المذهب، إلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا»[1].

قضية الطبع والصنعة لم تقف عند القلة القليلة من النقاد بل كان منهم العديد من الذين أشاروا إليها، إضافة إلى ابن رشيق والجاحظ، نجد ابن الأثير الذي يتميز بطريقته الخاصة في طرحه لمختلف القضايا النقدية ومن بين هذه القضايا التي عالجها نجد قضية الطبع والصنعة، والتي أشار ليها في كتابه "المثل السائر" وقد أشاد بأهمية الطبع في الشعر فهو يقول في هذا الموضوع: «**إن سلمت إليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة**»[2] ،فيقر أن الشعر والخطابة للعرب إنما كان بالبداهة والاسترسال، ورأى أن علامات الطبع البديهة والعطاء والإنشاء متى أراد الشاعر ذلك من غير إجهاد أو تكلف، كما جعل صفة الطبع هي صفة الإبداع والتفوق بين الشعراء، وجعل ابن الأثير الخفة صفة الطبع ووصف الصنعة بالثقل فنجده يقول في هذا الصدد: « **وقد جاءني شيء من ذلك عليه خفة الطبع، لا ثقل التطبّع**[3]»، ولا تعد الصنعة مرادفة لطبع عند ابن الأثير كما أن له فرق كبير بينهما وقد أعطى مثال عن ذلك من خلال شرحه لأبيات أبي نواس في كتابه

[1]–الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 28.

[2] –ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، د ط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ت، ص 192.

[3]–المرجع نفسه، ص228.

"المثل السائر" عند باب "لزوم مالا يلزم"، وبذلك فإن ابن الأثير أشار مثل غيره من النقاد إلى هذه القضية وكان موقفه ينصر مدرسة الطبع.

تناول ابن شرف القيرواني عدة قضايا مهمة في النقد الأدبي، ولكنه لم يتعرض إلى مسألة الطبع والصنعة بشكل مفصل، ولم يتحقق فيها ولا بتفاصيلها، وإنّما أشار إليها إشارة عابرة فهو: **«الناقد الخبير بخبايا الخطاب الشعري البصير بكثير من جوانب التاريخ الأدبي، لم يكن له دور كبير في التطرق إلى هاتين القضيتين وقد يكون السبب في ذلك راجع لعدة أسباب خاصة »**[1].

نلتمس موقف ابن شرف القيرواني من قضية الطبع والصنعة من خلال الأحكام التي صدرها على الشعراء، وبالأخص أبي تمام والبحتري، وهما صاحبي مدرستي الطبع والصنعة فقد جاءت هذه الأحكام على شكل ملاحظات، وقال عن أبي تمام **«وأما الطائي حبيب متكلف إلا أنه يعيب، ومتعب، لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس وحبذا ذلك أو بيس »**[2]، فأبو تمام متكلف لكنه يصيب، فشعره كثير الغموض ولا يفهم بسهولة إلا عند الفئة التي قامت بشرحه وتعمقوا فيه، والمدركون لقيمة الشعر والفن، فرغم تكلفه وإكثاره من الصنعة البديعية فقد وفق في صوره الشعرية، حيث يقول محمد مرتاض:**«وشعره ليس مروحة للكسالى بل لا يفهمه إلا المصرون على الفهم ، المتعمقون في الشرح المدركون**

[1]–محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، ص 124.

[2]–محمد ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 7.

لقيمة الفن وهؤلاء يشعرون براحة لا نظير لها عند اهتدائهم إلى إزالة المعميات من شعره، وإماطة الأشواك عن دقائق فنّه »[1].

نظرة ابن شرف القيرواني تتغير فيما يخص البحتري، حيث يصفه عكس أبي تمام وفي هذا الأمر يقول: « **وأما البحتري فلفظه ماء ثجاج، ودر دراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، إلى ما يجيش به صدره، يسر مراد، ولين قياد، إن شربته أرواك، وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلف يعييه، ولا العناد يثنيه، ولا يمل كثيره، ولا يستكلف غزيره، ولم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم**»[2].

أقر ابن شرف بتفوق البحتري لأنه استخدم السجع، فقد ترك جرس موسيقى تطرب له الأسماع، إضافة إلى السجع استخدم أحرف متشابهة، واستخدم التشبيه حيث شبه لفظه بالماء العذب، وشبه المعاني بالشيء الوهاج الذي ينير الطريق، وهذا ما يبينه قول محمد مرتاض: «**لفظه بالماء القراح، المتدفق الذي يروى الصادى وينعش الخليل، وهو كالدر المتلألئ لما يطبعه من رقة وعذوبة وما يسمه من تموسق واهتزاز له أثره في المتلقي**»[3].

فابن شرف القيرواني من خلال كتابه "مسائل الانتقاد" يظهر أنّه لا ينحاز إلى أيّ طرف في هذه القضية ولا ينصر أحدهما، فهو يفضل صاحب الطبع لطبعه، وصاحب الصنعة لصنعته، فهو يقول بصريح العبارة: «**وأمّا صريع فكلامه مرصّع ونظامه مصنّع**

[1]– محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، ص 126.

[2]– ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص 7.

[3]– محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، ص 101.

وجملة شعره صحيحة الأصول، مصنعة الفصول قليلة الفضول...، وأما ابن الرومي فشعره الاختراع وثمرة الإبداع» [1].

وخلاصة القول أنّ ابن شرف القيرواني لم يجتح إلى أيّ مدرسة سواء مدرسة الطبع أو مدرسة الصنعة، وإنّما عبر بإعجابه بأصحاب الطبع، وأيضا أبدى رأيه وإعجابه بالشعر المصنوع إذ يقول بشير خلدون:« **فابن شرف كان أميل إلى مذهب الطبع منه إلى مذهب أهل الصنعة وإن كنا نتمنى لو أنه أعطى رأيه صراحة وبوضوح في هذه القضية المهمة التي شغلت الكثير من النقاد المشارقة والمغاربة على حد سواء»**[2]، فابن شرف لم يتحيز إلى أحدهما، لأنه وقف موقفا وسطيا، وأعطى لمحة على هذه القضية في كتابه "مسائل الانتقاد" ولو ضمن ما قام به إزاء وضع أحكامه على مقاطع شعرية لشعراء عصره وغيرهم.

[1]– ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص7.

[2]- بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 214.

خاتمة

خاتمة:

إنّ البحث في ثنايا النقد المغاربي القديم ليس بالأمر السهل أو الهين، إذ يتعين على الباحث في هذا المجال الاستعانة بجملة من الإجراءات والمفاهيم والنصوص التاريخية وعموما أفضى بحثنا إلى مجموعة من النتائج يمكن رصدها في النقاط التالية:

- زاوج ابن شرف القيرواني بين قول الشعر وممارسة العمل النقدي، لاسيما أنّه عاش في بلاط المعز بن باديس وتأثره إلى حدّ بعيد بآراء نقاد القيروان خاصة ابن رشيق القيرواني.
- لاحظنا احتفال كتب الأدب المغاربي القديم بشخص ابن رشيق القيرواني أكثر من اهتمامهم بابن شرف.
- خاض ابن شرف في قضايا أدبية ونقدية عدة شكّلت محور اهتمامات الأدباء والنقاد في عصره، فكانت آراؤه النقدية تمنح إلى حدٍ بعيد من آراء النقاد في المشرق.
- أولى ابن شرف عناية خاصة لقضية السرقات الشعرية نظرًا لذيوعها في عصره فأدت إلى بروز المناظرات والمفضلات بين الشعراء خاصة في مجالس الخلفاء والأمراء.
- وردت في كتاب "مسائل الانتقاد" إشارات عرضية إلى بعض الفنون النثرية كفن المقامة إلاّ أنّ جل الآراء النقدية المتضمنة في الكتاب أولت عنايتها الخاصة للجانب الشعري.

ثبت المصادر والراجع

I. المصادر المعاجم:

1. آبادي الفيروز، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرّسالة،1997.
2. ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، دون الطبعة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دون تاريخ.
3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد اللّه محمد الدرويش، طبعة الأولى، دار يثرب، 2004.
4. ابن رشيق أبو علي حسن، العمدة في محاسن الشعر أدبه ونقده، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 1996.
5. ابن رشيق أبو علي حسن، انموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، دون طبعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
6. ابن شرف أبو عبد الله محمد، أعلام الكلام، تحقيق: عبد العزيز أمين الخانجي، مصر، بدون تاريخ.
7. ابن شرف أبو عبد الله محمد، مسائل الانتقاد، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دون طبعة، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، مصر، 1983.
8. ابن طباطبا محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
9. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، الجزء الأول، دون طبعة، دار المعارف، القاهرة، 1119.
10. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
11. الجاحظ أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ.

12. الجاحظ أبو عثمان بن بحر، كتاب الحيوان، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البيابي الحلبي، مصر 1960
13. الجرجاني القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البخاوي، دون طبعة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1966.
14. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الاعجاز، تشرح وتعليق محمد التنجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العربي، بيروت، 2005.
15. الحموي يقوت، معجم الأدباء، جزء الأول، تحقيق عمر فاروق الطباع، طبعة الأولى، مؤسسة المعارف، دار بن حازم بيروت، لبنان، 1999.
16. الدّباخ الأنصاري عبد الرّحمان بن محمد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شتبوح، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.
17. الشنتريني ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دون طبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997.
18. عزاري محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار الملوك الأندلس والمغرب تحقيق: بشار عوّاد مغروف، محمود بشار عوّاد، الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار العرب الإسلامي، تونس، 2013
19. العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البخاوي، الطبعة الأولى، دار الحياء الكتب العربية، 1952
20. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية،2004م.
21. المرزوقي أبو علي أحمد، ديوان الحماسة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2003.

II. الدواوين الشعرية

1. ابن شرف أبو عبد الله محمد، ديوان ابن شرف، تحقيق: حسن ذكرى حسن، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1983.
2. باغي عبد الرحمان، ديوان ابن رشيق القيرواني، دون طبعة، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1989.
3. حسان بن ثابت، الديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 2006.

III. -المراجع العربية

1. ابن عذارى المراكشي عبد الله بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1983.
2. الإدريسي الشريف، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: محمد حاج صادق دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.
3. ثويني حميد آدم، منهج النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الأولى، دار الصفاء عمان 2014.
4. حسن حسنى عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1983.
5. خلدون بشير، الحركة الأدبية على أيام ابن رشيق المسيلي، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة، رغاية، الجزائر،1981.
6. درواش مصطفى، خطاب الطبع والصنعة، دون طبعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005.
7. سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق،1998.
8. شايب أحمد، أصول النقد الأدبي، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، 1994.

9. ضيف شوقي، النقد، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر،1919.
10. طه حسين هند، النظرية النقدية عند العرب، دون الطبعة، دار الرشيد للنشر والتوزيع،1981.
11. عباس احسان، تاريخ النقد الأدبي القديم عند العرب، الطبعة الرابعة، دار الثقافة بيروت لبنان،1971.
12. عتيق عبد العزيز، في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1972.
13. العشماوي محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون طبعة، بيروت، 1989.
14. مرتاض محمد، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
15. مصايف محمد، دراسات في النقد والأدب، دون طبعة، مركب الطباعة الرغاية الجزائر،1981.
16. المصري محمد بن عبد الغني، نظرية الجاحظ في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار حدلاوى للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987.
17. مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، دون طبعة، المكتبة للطباعة، 1997.
18. مندور محمد، النقد المنهجي عند العرب، دون طبعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر مصر.
19. مواغى عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، مصر،2000.

IV. الرسائل الجامعية

1. إبراهيم عبد النور، اتجاهات النقد في المغرب العربي بين القرن الرابع والثامن الهجري، وهران، أطروحة الدكتوراه، 2009/2008.

2. داود محمد، في النقد الأدبي، جامعة وهران، أطروحة الدكتوراه، 2011/2010.

3. مصباحي فازية، القضايا النقدية في كتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني، مولود معمري، تيزي وزو، مذكرة الماجستير، 2012/2011.

V. المجلات والدوريات

1.مجلة الأندلس، العدد 11، جامعة الأندلس، بيروت،2016.

2.مجلة كلية الآداب، العدد 5، كلية التربية جامعة مصرانة، مصر، دون تاريخ.

3.مجلة مقاليد، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016.

4. أعمال الملتقى الدولي: الوسطية في المغرب وأثرها في نشر الإسلام في افريقيا وأوروبا، جامعة الوادي،2017.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....أ-ب

الفصل الأول: ابن شرف القيرواني وكتابه مسائل الانتقاد.....9-40

المبحث الأول: نشأته وبيئته. 9-24

أ-اسمه ومولده.....9-12

ب-مدينة القيروان.....13 -15

ج-الحياة الثقافية في مدينة القيروان..... 16-19

د-الحياة الأدبية والفكرية.....19-24

المبحث الثاني: عرض كتاب "مسائل الانتقاد."..... 25-30

أ-تسمية الكتاب.....25-26

ب-مناسبة تأليف الكتاب.....27-28

ج-محتويات الكتاب.....28-30

المبحث ثالث: مجالات اشتغال النقد في كتاب "مسائل الانتقاد".....31-40

الفصل الثاني: موقف النقاد وابن شرف من قضايا النقد العربي القديم.....42-75

المبحث الأول: موقفه من قضية السرقات الشعرية.....42-56

المبحث الثاني: موقفه من قضية اللفظ والمعنى.....57-66

المبحث ثالث: موقفه من قضية الطبع والصنعة.....67-75

الخاتمة.....77-77

ثبت المصادر والمراجع.....79-83

فهرس المحتويات.....85-86

الملخص

تروم هذه الدراسة تقصي بعض الجوانب الرؤية النقدية عند ابن شرف القيرواني من خلال مؤلفه " مسائل الانتقاد"، وقد اتكأت الدراسة على العديد من الدراسات والمراجع التي تناولت الأدب المغاربي القديم بالدراسة مثل كتاب "محمد مرتاض" تحت عنوان النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، وكتاب الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي لصاحبه "بشير خلدون" وتاريخ النقد الأدبي عند العرب لمؤلفه "إحسان عباس".

الكلمات المفتاحية: الرؤية النقدية، ابن شرف القيرواني، النقد، القيروان.